جامعة الأزهر
Al-Azhar University

قراءة بلاغية في دالية زهير (غشيت ديارًا)

إعداد
د/ خالد أحمد محمد حسن
مدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
بقنا - جامعة الأزهر - مصر

العام الجامعي: ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

قراءة بلاغية في دالية زهير (غشيت ديارًا)

خالد أحمد محمد حسن

قسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: khaledhassan.7620@azhar.edu.eg

ملخص البحث: يدور البحث حول إحدى قصائد زهير بن أبي سلمى، وهي داليته (غشيت ديارًا) من حيث تحليلها تحليلًا بلاغيًا للوقوف على تميزت به من خصائص تركيبية وسمات تصويرية، وقدرتها على تحقيق مقصوده من النص، وتلمس جماليات اللغة والسياق، وما تبرزه من مشاعر وأحاسيس، والوقوف على نسق بناء النص وإحكامه، وقامت الدراسة بالموازنة البلاغية بين روايات القصيدة إن كان ثمت اختلاف بينها، كما قامت الدراسة بالموازنة بين بعض المعاني عند زهير والمعاني القريبة منها عند غيره من أرباب البيان، وقد كشفت الدراسة على الذائقة البيانية التي تمتع بها زهير ومراعاته للأسس البلاغية من مراعاة للسياق والمقام، مما جعله من فحول الشعر الجاهلي، وقد وقفت الدراسة على تأثر العديد من أعلام الشعراء ببعض من صياغاته وتراكيبه وصوره، وكانت تلك الدراسة من خلال السياقات التي تناولتها الدالية، وهي سياقات (حديث الطلل- حديث الجمالية (الراحلة)- مدح هرم بن سنان- (الختام) وفيه يختلط المدح بالحكمة)، وقد وضح في البحث العلاقة بين مطلع النص وخاتمته والاتصال الوثيق لسياقات النص المختلفة بالهدف الذي يؤمه زهير من النص، والارتباط الوثيق بين أجزاء النص، والتآلف بينها، وأن بعضها يودي إلى بعض في وإحكام وانسجام، ووقفت الدراسة على ما تميز به شعره من طول الجملة الشعرية ومع ذلك لا تجد تداخلا للنظم أو تعاظلا في التراكيب.

الكلمات المفتاحية: زهير، الشعر الجاهلي، (غشيت ديارًا)، البلاغة، النظم، التحليل البلاغي.

A rhetorical reading in Daliyat Zuhair (Ghashit Diara)

Khaled Ahmed Mohamed Hassan
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Qena, Al-Azhar University, Egypt.
Email: khaledhassan.7620@azhar.edu.eg

Abstract: The research revolves around one of Zuhair bin Abi Salma's poems, which is his Dalita (Ghashit Diara) in terms of rhetorical analysis to find out its distinctive compositional characteristics and pictorial features, and its ability to achieve its intention from the text, and touch the aesthetics of language and context, and the feelings and sensations it highlights, and stand on the pattern of building and tightening the text, The study balanced rhetorical between the novels of the poem if there is a difference between them, and the study balanced between some of the meanings when Zuhair and the meanings close to them when other owners of the statement, the study has revealed the taste graph enjoyed by Zuhair and his consideration of the rhetorical foundations of taking into account the context and the place, which made him one of the stallions of pre-Islamic poetry, The study stood on the impact of many of the important poets by some of its formulations, compositions and images, and that study was

through the contexts addressed by the Dalia, which are contexts (talk of the ruin - talk aesthetic (departed) – praise of Haram bin Sinan - (conclusion) in which praise is mixed with wisdom), In the research, the relationship between the beginning of the text and its conclusion and the close connection of the different contexts of the text with the goal that Zuhair believes in from the text, and the close connection between the parts of the text, and the harmony between them, and that some of them lead to each other in a tight and harmony, and the study stood on what distinguished his poetry from the length of the poetic sentence, however, does not find an overlap of systems or synergies in the structures.

Keywords: Zuhair, Pre-Islamic Poetry, (Ghashit Diara), Rhetoric, Systems, Rhetorical Analysis.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أحكم خلق الإنسان، وأكرمه بفضيلة البيان، وجعل له عقلًا سليمًا ولسانًا فصيحًا يخبر عما يجول في نفسه، وما يدور في مكنون صدره، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين..

وبعد

فإن الشعر الجاهلي كان وما يزال الينبوع الثجاج الذي يرتوي منه أئمة البلاغة ورواد الفصاحة، فقد عرف شعراء هذا العصر بسلامة الذوق في معالجة النظم، باختيار المعاني، وانتقاء الألفاظ التي توائمها، والموازنة بين اللفظ والمعنى في رصف بديع يستولي على الأفئدة، ويملك عرش القلوب، ولذا لا ترى عارفا بجوهر الشعر إلا وهو يؤكد أن شعر الجاهلية وبيانهم عن ذوات نفوسهم لا يزال في قمة بيان العربية(١) فهو زبدة كلام العرب وواسطة كرائمه مما يغري بدراسته وتأمل أبنيته والكشف عن دقائقها.

وكان زهير من فحول شعراء هذا العصر، بل قد وضعه ابن سلام في الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين(٢).

وكذلك شعر زهير كان عامرًا بمكارم الأخلاق وفضائل النفس، بل ذهب البعض إلى أن شعره أشبه بكلام الأنبياء، كما يذكر الثعالبي(٣).

---

(١) مدخل إلى كتابي الإمام عبد القاهر– أ. د محمد محمد أبو موسى ص ١٩٥– مكتبة وهبة بالقاهرة – الطبعة الأولى ١٩٩٨.

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ١/ ٥١ – تحقيق: محمود محمد شاكر– دار المدني بجدة.

(٣) خاص الخاص للثعالبي، ص :٩٦، تحقيق: حسن الأمين، ، دار مكتبة الحياة – بيروت.

ويعتبر التحليل البلاغي للنظوم البليغة التي أنتجتها الأجيال السابقة من أرباب البيان من أجل الدراسات وأعظمها فائدة؛ لأنه السبيل إلى تكوين ذوق بلاغي وعقل فني ونهضة أدبية .

ولقد توافرت كل هذه العوامل للوقوف على نظم زهير من خلال هذه الدراسة (قراءة بلاغية في دالية زهير غشيت ديارًا) للكشف عن مدى توفيقه في انتخاب مفرداته وتراكيبه وصوره، وتلمس جماليات الصياغة واللغة والسياق في هذا النص، وما فيه من صور، وما يبرزه من مشاعر وأحاسيس.

وقد قام منهج الدراسة على عرض القصيدة حسب رواية ثعلب، وهي أقدم الروايات، ثم تقسيم القصيدة إلى سياقات وأغراض، ثم ذكر أبيات كل غرض، ثم تحليل الأبيات تحليلًا بلاغيًا، مع الموازنة بين الروايات إن كان ثمت اختلاف بينها، كما تعرض الدراسة للموازنة بين بعض المعاني عند زهير والمعاني القريبة منها عند غيره من أرباب البيان.

وسوف يتضح ذلك جليًا في أثناء الدراسة التفصيلية للدالية، والتي تعتبر من أبرز قصائده ومن مطولاته، والتي يبرز فيه خصائص بيانه وسمت بلاغته.

والله تعالى أسأل أن يقيم القلم، وأن يرزق الإخلاص في العمل، إنه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نبذة موجزة عن زهير[1]:

هو زهير بن أبي سلمى: ربيعة بن رباح بن قرة المزني الأصل، الغطفاني النشأة، فأبوه ربيعة، وكنيته أبو سُلمى، ترك ديار قومه بمزينة بالقرب من المدينة، ونزل بغطفان في شرقي نجد، وتزوج منهم وأعقب فيهم سُلمى وزهيرًا والخنساء ثم توفي، فتزوجت امرأته من بعده الشاعر التميمي المشهور (أوس بن حجر) فكفله خاله الشاعر المشهور(بشامة بن الغدير الغطفاني)، وقد تزوج من ابنته (أم أوفى) وهي التي يذكرها كثيرًا في شعره، ولم ينجب منها، فتزوج من أخرى تدعي (كبشة بنت عمار الغطفاني) وأنجب منها أولاده بُجيرًا وكعبًا اللذين أسلما وحسن إسلامهما.

وقد عرف زهير بدماثة الخلق، وصدق الطوية، وحسن المعشر، وعفة النفس، والإيمان بيوم الحساب.

ولم يعرف في الجاهلية شاعر عني بتنقيح شعره مثلما عرف عنه، فكانت القصيدة عنده تمكث عامًا كاملًا يُعمِل فيها فكره، ويجيل فيها نظره، وقد عرفت قصائده بالحوليات أو المنقحات، وأطلقوا على من سار على منهجه "مدرسة زهير بن أبي سلمى" أو "مدرسة عبيد الشعر".

وكان زهير من المعمرين، فتذكر بعض الروايات أنه بلغ مائة عام، ويدل على طول عمره قوله:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعــش ∴ ثمانين حولاً – لا أبــا لــك – يســأم

---

(١) تنظر ترجمته وأخباره وأشعاره في: الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/١٧٣– تحقيق: أحمد محمد شاكر– طبعة دار المعارف، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ١/١٥١– تحقيق: محمود محمد شاكر– طبعة المدني، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٠/٣٧٥٢– طبعة دار الكتب، والعصر الجاهلي د/ شوقي ضيف صـــ:٣٠٠– طبعة دار المعارف.

وقد جمعت أشعاره في ديوان شرحه ثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ، وشرحه الأعلم الشنتمري المتوفى سنة ٤٧٦هـ [١].

مناسبة النص:

تأتي القصيدة ضمن القصائد التي مدح بها زهير بن أبي سلمي "هرم بن سنان"، وذلك لتحمله ديات القتلى من قبيلتي "عبس" و"ذبيان" مع "الحارث بن عوف المرى" بعد حرب داحس والغبراء، التي استمرت أكثر من أربعين عامًا، فقد امتدحه بالعديد من القصائد ثناء وحمدًا لصنيعه في إصلاح ذات البين بين القبيلتين، وإحلال السلام بينهما بعد العداء والقتال[٢] .

هذا عن المقصد والدافع إلى النص، أما عن السياقات التي يشتمل عليها، فيمكن تحديدها فيما يلي:

السياق الأول: حديث الطلل، وما صارت إليه ديار الأحباب من تبدل وتغير.

السياق الثاني: الحديث عن الراحلة التي ستحمله إلى الممدوح وقوتها وفحولتها، وما تتمتع به من الحيوية والنشاط .

السياق الثالث: أوصاف الخنساء، وهي البقرة الوحشية التي شبه بها راحلته، وبيان قوتها وما تتمتع به من أوصاف تجعلها قادرة على التصدي للمخاطر، وبيان صراعها مع صياديها الذي أودي بحياة وليدها، وكاد يفتك بها.

السياق الرابع: مدح هرم بن سنان وقوته وجرأته وحنكته وخبراته في الحرب، وأنه السباق إلى الغايات السامية، وبيان ما يتخلق به من آداب سامية.

---

(١) تاريخ اللغة العربية لجورجي زيدان ١٠٣/١- دار مكتبة الحياة بيروت - الطبعة الثانية ١٩٣٨م.

(٢) الأغاني ٣٧٥٢/١٠ .

السياق الخامس: ختام النص، وفيه يختلط المديح بالحث والإرشاد، فيذكر أن حمد الممدوح باق، لذا ينبغي أن يتابع ما يؤدي إلى ذلك، حتى آخر لحظات حياته.

النص (١):

غَشِـــيتُ دِيـــاراً بـــالبقيعِ فثَهْمَـــدِ ∴ دوارسَ، قـــد أقـــوينَ مـــن أمِّ معبـــدِ
أربتْ بهـــا الأرواحُ كـــلَّ عشـــية ∴ فلـــم يبـــقَ إلاّ آلُ خـــيمٍ، منضـــدِ
وغَيـــرُ ثَـــلاثٍ كالحَمَـــامِ خَوَالِـــدٍ ∴ وهـــابٍ محيـــلٍ هامـــدٍ متلبـــدِ
وقفت بهـــا رأد الضـــحاء مطيتـــي ∴ أســـائل أعلامـــاً ببيـــداء قـــردد
فَلَمَّـــا رَأَيْـــتُ أَنَّهـــا لا تُجِيبُنِـــي ∴ نَهَضْتُ إلى وَجْنـــاءَ كالفَحْـــلِ جَلْعَـــدِ
جُماليّةٍ لمْ يُبْـــقِ سَـــيري ورِحْلَتـــي ∴ على ظَهرِها مِنْ نَيّهـــا غيـــرَ مَحْفِـــد
مَتـــى مـــا تُكَلّفْهـــا مَفَـــازةَ مَنْهَـــلٍ ∴ فتســـتعفَ، أو تنهـــكْ إليـــهِ، فتجهـــدِ
تردهُ ولمّا يخرجِ الســـوطُ شـــأوها ∴ مروحاً، جنوحَ الليـــلِ، ناجيـــةَ الغـــدِ
كهَمِّكَ إن تجهـــد تَجِـــدْها نجيحـــة ∴ صـــبورًا وإن تســـترْخِ عنهـــا تزيَّـــدِ
وتنضـــحُ ذفراهـــا بجـــونٍ كأنّـــهُ ∴ عَصِيمُ كُحَيلٍ فـــي المراجـــلِ مُعقَـــد
وَتُلـــوي بريّـــانِ العَسِـــيبِ تُمِـــرّهُ ∴ على فَرْجِ مَحـــرُومِ الشّـــرابِ مُجـــدَّدِ
تُبـــادِرُ أغْـــوَالَ العَشِـــيّ وتَتّقـــي ∴ عُلالَةَ مَلـــويٍّ مـــنَ القِـــدّ مُحصَـــدِ
كخنساءَ ســـفعاءَ الملاطـــمِ حـــرةٍ ∴ مســـافرةٍ مـــزؤودةٍ أمِّ فرقـــد
غَـــدَتْ بِسِـــلاحٍ مِثْلُـــهُ يُتّقَـــى بـــهِ ∴ ويُـــؤمِنُ جـــأشَ الخـــائفِ المُتَوَحِّـــد
وسامِعَتَينِ تَعـــرِفُ العِتْـــقَ فيهِمَـــا ∴ إلى جَذرِ مَـــدلوكِ الكُعـــوبِ مُحَـــدَّدِ

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى لأبي العباس ثعلب – صـــ:١٦٠– ١٧٠، تحقيق : د. فخر الدين قباوة – مكتبة هارون الرشيد للتوزيع – دمشق– الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـــ– ٢٠٠٨م.

ونـــاظرتينِ تطحـــرانِ قـــذاهما ∴ كأنّهُمـــا مَكْحُولَتـــانِ بإثْمِـــدِ
طَبَاها ضَحاءٌ أوْ خَـلاءٌ فخالَفَـتْ ∴ إلَيْـهِ السّـباعُ فـي كِنـاسٍ ومَرْقَـدِ
أضَاعَتْ فلَمْ تُغْفَـرْ لهـا غَفَلاتُهَـا ∴ فَلاقَـتْ بَيانـاً عنـدَ آخِـرِ مَعهَـدِ
دماً عندَ شلوٍ تحجلُ الطيـرُ حولـهُ ∴ وبضـعَ لحـامٍ فـي إهـابٍ مقـددِ
وتَنفُضُ عَنها غَيـبَ كُـلّ خَميلَـة ∴ وتخشى رماة الغوثِ من كلِّ مرصـد
فجالـتْ علـى وحشـيها وكأنهـا ∴ مسـربلةٌ فـي رازقـيٍّ معضـدِ
ولم تدرِ وشكَ البينِ حتّـى رأتهـمُ ∴ وقَـدْ قَعَـدُوا أنْفاقَهـا كُـلَّ مَقعَـدِ
وثاروا بها مـن جانبيهـا كليهمـا ∴ وجالتْ وَإنْ يُجشِـمْنها الشـدّ تجهـدِ
تبذُّ الألَـى يأتينهـا مـن ورائهـا ∴ وَإنْ يَتَقَـدّمْها السّـوابقُ تَصْـطَدِ
فأنقذها من غمـرةِ المـوتِ أنهـا ∴ رأتْ أنهـا إنْ تنظـرِ النبـلَ تقصـد
كـأن دمـاء المؤسـدات بنحرهـا ∴ أطبة صـرف فـي قضـيم مصـرد
إلـى هـرم تهجيرهـا ووسـيجها ∴ تروح مـن الليـل التمـام وتغتـدي
إلى هرم سارت ثلاثا مـن اللـوى ∴ فـنعم مسـير الواثـق المتعمـد
سـواءٌ عليـهِ أيَّ حـينٍ أَتَيْتَـهُ ∴ أَسَـاعَةَ نَحْـسٍ تُتَّقَـى أَمْ بَأَسْـعُدِ
ألـيسَ بِضَـرَّابِ الكُمَـاةِ بِسَـيْفِهِ ∴ وَفَكَّـاكِ أَغْـلالِ الأَسِـيرِ المُقَيَّـدِ
كَلَيْثٍ أبي شِـبْلَيْنِ يَحْمِـي عَرِينَـهُ ∴ إذا هـو لاقـى نَجْـدَةً لـم يُعَـرِّدِ
وَمِدرَهُ حَـربٍ حَمِيُهـا يُتَّقـى بِـهِ ∴ شَـديدُ الرِجـامِ بِاللِسـانِ وَباليَـدِ
وَثِقلٌ عَلى الأَعـداءِ لا يَضَـعونَهُ ∴ وَحَمّـالُ أَثقـالٍ وَمَـأوى المُطَـرَّدِ

أَلَـــيسَ بِفَيّـــاضٍ يَـــداهُ غَمامَـــةٌ ∴ ثِمالِ اليَتـــامى فـــي السِـــنينَ مُحَمَّـــدِ
إذا ابتدرتْ قيسُ بنُ عـــيلانَ غايـــة ∴ منَ المجدِ مَن يَســـبِقْ إليهـــا يُســـوَّدِ
سَبَقْتَ إلَيهـــا كُـــلّ طَلْـــقٍ مُبَـــرِّزٍ ∴ سَبُوقٍ إلـــى الغايـــاتِ غَيـــرِ مُجَلَّـــدِ
كفِضْلِ جَواد الخَيلِ يَسبُقُ عَفوُهُ الـــ ∴ ـــسراعَ وإن يجهـــدنَ يجهـــدْ ويبعـــدِ
تقـــيٌّ نقـــيٌّ لـــم يكثـــرْ غنيمـــة ∴ بنكهـــةِ ذي قربَـــى ولا بحقلـــدِ
سوى ربعٍ لم يـــأتِ فيهـــا مخانـــة ∴ وَلا رَهَقـــاً مِـــن عائِـــذٍ مُتهَـــوِّدِ
يطيـــبُ لـــهُ أو افتـــراصٍ بســـيفهِ ∴ على دَهَـــشٍ فـــي عـــارِضٍ مُتَوَقِّـــدِ
فلو كانَ حمدٌ يخلدُ الناسَ لم يمـــتْ ∴ ولكـــنَّ حمـــدَ النـــاسِ لـــيسَ بمخلـــدِ
ولكـــن منـــه باقيـــاتٍ وراثـــةً ∴ فـــأورثْ بينـــكَ بعضـــها وتـــزود
تَـــزَوّدْ إلـــى يَـــوْمِ المَمَـــاتِ فإنّـــهُ ∴ ولو كرهتـــهُ الـــنفسُ آخـــرُ موعـــدِ

التلاؤم بين المطلع والمقصد

كان موضع المبدأ من القصيد ذا اهتمام وتأنق عند النابهين من الشعراء، ولذا كانوا يعمدون على الإجادة فيه، والتدقيق في بنائه؛ وذلك لأنه كما يقول الخطيب: (أول ما يقرع السمع، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه، وإن كان في غاية الحسن" (١).

ونبهوا على أن من مظاهر الجودة والملاحة والحسن" أن يكون فيه إشارة إلى ما سيق الكلام لأجله، ليكون المبتدأ مشعرًا المقصود، والانتهاء ناظرًا إلى الابتداء"(٢)، وهذا ما حرص عليه أرباب البيان وصناع الفصاحة في شتى فنون القول، فوضعوا إشارات وإيماءات تسبق إلى المقصود وتلائمه.

والوقوف على الطلل كما يقول العلامة الدكتور أبو موسى: "حال من الأحوال التي يغلب على الشاعر فيها وجده، وشجنه، فيسأل، ويستنطق من لا يجيب، ولا ينطق، ويبث أشجانه، وأشواقه أحجاره وملاعبه.... وهذه البدايات في القصائد مشحونة بالوجد، واللوعة، وهي أحسن ما يستفتح به الشعر"(٣).

ومما يدل على العلاقة الوثيقة لسياقات النص المختلفة بالمقصد الذي يؤمه زهير من قصيده أن المقصد الأساس من النص وهو مدح هرم بن سنان لم يصرح به إلا في ثمانية عشر بيتًا من ستة وأربعين بيتًا هي جملة

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني صـ ٣٩٠ – دار إحياء العلوم – بيروت – الطبعة الرابعة – ١٩٩٨

(٢) المطول لسعد الدين التفتازانى صـ : ٤٧٨، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث

(٣) الإعجاز البلاغي (دراسة تحليلية لتراث أهل العلم) أ.د محمد محمد أبو موسى– مكتبة وهبة ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

النص؛ فلا يعقل أن شاعرًا فحلًا معدودًا في الطبقة الأولى من الشعراء ومعروفًا بالتدقيق والإحكام يطيل هذه الإطالة في مقدمات نصه دون أن يقصد إلى أن يودع في هذه المقدمات إيماءات إلى مقصده تؤيده وتعطي إيحاءً به وتخلق جوًا يليق به.

وترى مقاصد زهير من قصيدته في شتى السياقات التي تناولها بدء من المقدمة الطللية، ثم وصف الراحلة التي أوصلته إلى الممدوح، ثم وصف الخنساء، وهي البقرة التي شبهت بها الراحلة، وستقوم الدراسة مستعينة بالله بمحاولة التنبيه على ما يتكشف لها من الإشارات إلى المقصد.

وقد سبق أن المقصد الأساس للنص هو مدح "هرم بن سنان" ودوره في إخماد الحرب بين عبس وذبيان بما تحمله من ديات القتلى، مما جعل القوم ينصرفون عن الأخذ بالثأر، ويقبلون الدية، على الرغم من أن قبول الدية مسلك لا تتقبله الطبيعة العربية الأبية بالراحة، بل تأنفه أشد الأنفة.

ومن المطلع ما يتناغم مع السياق الحالي(١) للمقصد ويتقاطع معه، ومنه ما يتوافق مع السياق المقالي(٢) للمقصد.

ومما يتناغم مع سياق الحال للمطلع أنه لم يطل الوقوف على الطلل، ولم يمكث فيه إلا اليسير، وتعجل إلى الراحلة الموصلة لممدوحه، فلم يستغرق الوقوف على الرسوم إلا أربعة أبيات فقط، ويمكن أن يفهم من هذا الوقوف اليسير إلماح إلى ترك الثأر والقبول بالدية، ونبذ الماضي وما لا أمل في

---

(١) سياق الحال هو «الجو الخارجيّ الذي يحيط بالكلام من ظروف وملابسات» علم اللُّغَة الاجتماعِيّ مدخل، د. كمال بشر صـــ : ٨٣- دار الثقافة العَرَبِيَّة، القاهرة١٩٩٤ م.

(٢) سياق المقال هو «يتمثَّلُ في الأصوات والكلمات والجمل كما تتتابع في حدث كلامِيّ معين أو نصّ لغوي»- الكلمة دراسة لغَوِيَّة معجميَّة، د. حلمي خليل- ص ١٦١ - دار المعرفة الجامعية ١٩٩٣ م.

عودته، ولا جدوى في التمسك به، ولذا تراه يركز الانتباه على انمحاء الطلل وصوره البالية، ومن ذلك قوله: (دوارس قد أقوين) (فلم يبق إلا آل خيم) (أسائل أعلاماً ببيداء قردد).

ومن أجل ذلك أيضًا لا تراه يذكر شيئًا من الذكريات التي قضاها في حضن هذه الديار، التي من الممكن أن تجعله يطيل الوقوف أمامها مسترجعًا ذلكم الماضي، بل يلتفت فقط إلى الأطلال التي درست، وأنه ليس فيها مظهر للحياة إطلاقًا.

كما أن هجر الطلل إلى الراحلة الموصلة زهيرًا إلى الممدوح الذي سيسعد زهير بجانبه محققًا رغباته، شأنه كشأن هجر الثأر والاتجاه إلى قبول الدية مما يجعلهم يتمتعون بالحياة، وينعمون بما فيها.

ومن ملامح التلاقي بين الطلل والأخذ بالثأر أن الطلل يبدو عليه الانمحاء والاندثار، ولا أثر فيه لمظهر من مظاهر الحياة، كما يؤدي إلى ذلك استئناف الحرب والقتال.

وكذلك من ملامح التلاقي بين الدية وبين الراحلة التي يترك بها الطلل أننا نرى الراحلة على هذا النحو من الفحولة وتوافر كل مظاهر القوة والحيوية، مما يجعلها تحقق الغاية منها على أتم وجه، كما هو الشأن في الدية، فهي سبيل لكي تستمر الحياة، ويتمتع بلذاتها.

وكذلك التنفير من الحرب والحث على قبول الدية يتناغم مع هذه الصورة الأليمة الدامية لمصرع وليد الخنساء، وذلك في قوله:

دماً عندَ شلوٍ تحجلُ الطيـرُ حولـهُ ∴ وبضـعَ لحـامٍ فـي إهـابٍ مقـددِ

وتَنفُضُ عَنها غَيـبَ كُـلّ خَميلَـة ∴ وتخشى رماة الغوثِ من كلِّ مرصـد

فجالـتْ علـى وحشـيها وكأنهـا ∴ مسـربلةٌ فـي رازقـيٍّ معضـدِ

والتلاقي بين الأمرين، من جهة أن هذه الصورة تلمح إلى ما سيؤول إليه القتال والأخذ بالثأر من إراقة الدماء، فهو يريد أن يدلهم على أن الأخذ بالثأر يؤدي إلى استئناف القتال وإهدار الدماء، فكأنه يقول لهم : إنكم إن ثأرتم لابنكم فإن غيره من أبنائكم سيكون مهددًا بالقتل على هذا النحو الشنيع، الذي يبرزه مقتل وليد الخنساء.

ومن ملامح التلاقي في السياق المقالي مع مقصود زهير: تحقيق الغايات على أكمل وجه، وبدون مشقة أو عنت، وراجع في ذلك قوله عن الراحلة:

مَتــى مــا تُكَلِّفْهــا مَفَــازةَ مَنْهَــلٍ ∴ فتســتعفَ، أو تنهــكْ إليــهِ، فتجهــدِ

تردهُ ولمّا يخرجِ الســوطُ شــأوها ∴ مروحاً، جنوحَ الليــلِ، ناجيــةَ الغــدِ

كهَمِّكَ إن تجهــد تَجِــدْها نجيحــة ∴ صــبورًا وإن تســترْخِ عنهــا تزيَّــدِ

وقوله في هرم:

إذا ابتدرتْ قيسُ بنُ عــيلانَ غايــة ∴ منَ المجدِ مَن يَســبِقْ إليهــا يُســوَّدِ

سَبَقْتَ إلَيهــا كُــلّ طَلْــقٍ مُبَــرِّزٍ ∴ سَبُوقٍ إلــى الغايــاتِ غَيــرِ مُجَلَّــدِ

كفِضْلِ جَواد الخَيلِ يَسبُقُ عَفوُهُ الــ ∴ ــسراعَ وإن يجهــدنَ يجهــدْ ويبعــدِ

وكذلك من ملامح التلاقي في السياق المقالي مع مقصود زهير، حديثه عن براعة الخنساء وقدرتها على مجابهة الأخطار، يقول:

وثاروا بها مــن جانبيهــا كليهمــا ∴ وجالتْ وَإنْ يُجشِــمْنها الشــدّ تجهــدِ

تبذُّ الألَــى يأتينهــا مــن ورائهــا ∴ وَإنْ يَتَقَــدّمْها السّــوابقُ تَصْــطَدِ

فهذا المعنى هو ما تجده في حديثه عن هرم بقوله:

ألــيسَ بِضَــرَّابِ الكُمَــاةِ بِسِــيْفِهِ ∴ وَفَكَّــاكِ أَغْــلالِ الأَسِــيرِ المُقَيَّــدِ

وقوله:

وَمِدرَهُ حَــربٍ حَميُهــا يُتَّقــى بِــهِ ∴ شَــديدُ الرِجــامِ بِاللِســانِ وَباليَــدِ

فإذا كانت الخنساء تتفوق على أعدائها، وتتفوق على من جاء خلفها، وتضرب من تقدمها، كذلك الممدوح كثير الطعان خبير بالحروب شديد الرجام.

وكذلك قوة الخنساء تؤمن خشية الخائف، يقول:

غَــدَتْ بِسِــلاحٍ مِثْلُــهُ يُتّقَــى بــهِ ∴ وَيُــؤمِنُ جــأشَ الخــائِفِ المُتَوَحِّــد

وهذا ناظر إلى قوله عن الممدوح في منحه الأمان للمطارد:

وَثِقلٌ عَلى الأَعــداءِ لا يَضَــعونَهُ ∴ وَحَمّــالُ أَثقــالٍ وَمَــأوى المُطَــرَّدِ

وكذلك يتقاطع مع أن المستجيرين بالممدوح لا يلاقون عنتًا ولا رهقًا، وذلك في قوله:

تقــيٌّ نقــيٌّ لــم يكثــرْ غنيمــة ∴ بنكهــةِ ذي قربَــى ولا بحقلــدِ

سوى ربعٍ لم يــأتِ فيهــا مخانــة ∴ وَلا رَهَقــاً مِــن عائِــذٍ مُتهَــوِّدِ

السياق الأول: حديث الطلل

١- غَشِيتُ دِياراً بـــالبقيعِ فثَهْمَـــدِ ∴ دوارسَ، قـــد أقـــوينَ مـــن أمِّ معبـــدِ

٢- أربتْ بها الأرواحُ كلَّ عشـــية ∴ فلـــم يبـــقَ إلاّ آلُ خـــيمٍ، منضـــدِ

٣- وغَيرُ ثَلاثٍ كالحَمَـــامِ خَوَالِـــدٍ ∴ وهـــابٍ محيـــلٍ هامـــدٍ متلبـــدِ

٤- وقفت بها رأد الضحاء مطيتي ∴ أســـائل أعلامـــاً ببيـــداء قـــردد

يتناول هذا السياق وصف ديار الأحباب وإقفارها من أهلها، ففي البيت الأول يذكر أنه أتى ديار الأحباب في البقيع وثهمد(١)، وقد خلت من أم معبد، وهي إحدى محبوباته.

وإيثاره للفعل غشي دون أتى أو نحوها لدلالة هذا الفعل على أنه وقف على سائر ما تبقى من الديار، وتأمل ما فيها ودقق فيها كثيرًا، وأنها سيطرت على شعوره سيطرة تامة وكاملة، وهذا يعكس حالة الحزن التي استولت عليه.

كما أن هذه المادة تستعمل في الأمور الشديدة على النفس التي فوق طاقة الاحتمال، ولذا تناسب مطلع الإنشاد، وامتلاء النفس بالمعاني والمشاعر التي تدفعه إلى إنشاء القصيد والبوح بأسرار النفس.

يقول الراغب: "غشى :غشيه غشاوة وغشاء أتاه إتيان ما قد غشيه أي ستره، والغشاوة ما يغطى به الشيء، قال:﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ [الجاثية:٢٣]، وقوله: ﴿ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ ﴾ [يوسف: ١٠٧]أي نائبة تغشاهم وتجلهم، وقيل: الغاشية في الأصل محمودة، وإنما استعير لفظها على نحو قوله: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف: ٤١] وقوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ

---

(١) موضعان في نواحي المدينة ينظر معجم البلدان لياقوت الحموي على الترتيب ٤٧٣/١- ٨٩/٢ - دار صادر، بيروت - الطبعة الثانية ١٩٩٥ م.

حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ [الغاشية/ ١] كناية عن القيامة" (١).

ويلاحظ أن معظم افتتاحات شعره كانت بالفعل الماضي كهذا الفعل (غشيت) ثم " إن هذه الافتتاحات كانت من العناصر الشعرية الرائعة، فهي زاخرة بالمعاني القلبية العامرة بما يهيج، ويثير الشجى والحزن"(٢).

وتنكير (ديارًا) أنسب ما يكون بتغير ديار الأحبة، فقد صارت مجهولة منكرة، تختلف عن حالها في زمن اللقاء والوصال.

والتقييد بقوله: (دوارس) تضاعف من مشاعر الحزن والأسى واللوعة، لاسيما مع بنائها على صيغة جمع الكثرة، فالشاعر في مواضع في غاية الوحشة، وبعيدة كل البعد عن الأنس، الذي كانت عامرة به في زمن الوصال، وهذا من شأنه أن يؤجج مشاعره وما يلاقيه.

واستخدامه للفاء في قوله: (فثهمد) يشير إلى تسارع انتقاله من البقيع إلى ثهمد؛ مما يدل على ظهور معالم البلى وعدم تحمله لرؤية تلك الرسوم البالية؛ ولذلك كان الانتقال السريع .

والتوكيد في قوله: (قد أقوين) يدل على قوة تأثير خلو الديار من أم معبد على نفسه .

ويلاحظ أنه لم يؤكد من هذا المقطع إلا هذه الجملة؛ لأن الرحلة كلها وما عانى فيها من آلام هو لأجل تلك المحبوبة واسترجاع ذكرياته معها؛ لذا حق أن يختص التعبير الدال على خلو الديار منها بالتقرير والتأكيد، للدلالة على انفعاله به وإيجاعه الأليم لفؤاده.

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـــ: ٦٠٧ بتصرف- تحقيق: صفوان عدنان الداودي – دار القلم بدمشق الطبعة الأولى ١٤١٢ هـــ.

(٢) نسق الكلام في شعر زهير- إعداد أ. د/ هيفاء عثمان عباس فدا – صـــ: ٣٠- رسالة ماجستير بجامعة أم القرى – إشراف العلامة أ. د/ محمد محمد أبو موسى- ١٤٠٥هـــ - ١٩٨٦ م.

وآثر التعبير عنها بـــ (أم معبد) ليدل على اعتزازه بها وتقديره لها، ويضفي عليها جلالًا وتوقيرًا واحترامًا، ويبرز أن العلاقة بينهما كانت طاهرة عفيفة.

والتصريع في البيت يقوي الإنشاد، ويجذب الانتباه، ويشد الإدراك للمعاني التي تجول فيه، لا سيما وهو في مطلع النص، يقول حازم القرطاجني: "للتصريع في أوائل القصائد طلاوة، وموقعًا في النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها"(١).

وفي البيت الثاني والثالث يشير إلى أنه لم يبق من ديار الأحباب إلا بقية من الخيام، والأثافي التي شبهها بالحمام لسواد لونها الذي يضرب إلى الغبرة.

وقد فصل قوله: (أربت بها الأرواح....) عما قبله لأجل كمال الاتصال، فهو بمثابة التوكيد للبيت السابق، فهو صورة أخرى من التعبير عن خلو الديار من ذويها.

أربت: لزمت ودامت(٢)، والأرواح: جمع ريح، و(أل) فيها للاستغراق العرفي، وكان يمكن أن يعدي الفعل (أربت) بـــ (في) ولكنه أراد الدلالة على قوة الأرواح، فهي لا تقتصر على ديار الأحباب، وإنما أيضًا فيما حولها وجاورها، كما هو دلالة الباء على المجاورة.

وقد اختار هبوب الرياح في وقت العشي؛ وذلك لأنه وقت السمر والتلاقي والأنس بالأحباب، وها هو تدوم به الرياح وتعصف فيه هباتها، وهذا مما يؤلم ويثقل على الشعور والإحساس.

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الألباء لحازم القرطاجني صـــ:٢٨٣، تحقيق: محمد الحبيب الخوجة- دار الكتب الشرقية تونس- الطبعة الثانية ١٤٠٣هـــ-١٩٨٣م.

(٢) المعجم الوسيط- إبراهيم مصطفى وآخرون- مادة: (أرب)١/ ١٢- مجمع اللغة العربية بالقاهرة- دار الدعوة.

كما أن هبوب الرياح في هذا الوقت يجعل المكان أشد وحشة وفزعًا ورعبًا، فهو الليل بما فيه من سواد وظلمة وتوجس الشر.

وتتضاعف هذه الدلالات مع لفظ الشمول (كل) فليس هناك وقت يصلح للأنس في هذا الموضع.

و(آل) في قوله: (آل خيم) هو جمع آلة، وهو عود له شعبتان يعرش عليه عود آخر، ثم يلقى عليه ثمام يستظل به[١] (منضد) أي مصفوف بعضه فوق بعض[٢].

وتقييد (خيم) بقوله: (منضد) يدل على أن هجرهم لهذه الديار كان فيه أمل للعودة إليها مرة أخرى.

وآثر أن يكون اسم المفعول من الفعل غير الثلاثي (المضعف العين) للمبالغة في وضعه متراصفاً كما ذكر ابن منظور[٣]، وآثر صيغة اسم المفعول (منضد) للتركيز على الحدث وعدم أهمية ذكر الفاعل.

وتقديم الضمير العائد إلى الديار في قوله: (أربت بها الأرواح) وقوله: (وقفت بها رأد الضحاء مطيتي) لأن الديار هي محل الاهتمام، ومناط العناية، فالسياق يدور حول وصف ديار الأحباء والوقوف عليها.

قوله: (فلم يبق إلا آل خيم منضد) قصر صفة على موصوف، وفيه دلالة على خلو الديار تمامًا من ساكنيها، وقوة عصف الرياح واستمرارها زمنًا طويلًا.

ولعل داعيه إلى استخدام القصر بالنفي والاستثناء دون غيره من طرق

---

(١) شرح ديوان زهير للأعلم الشنتمري تحقيق: د. فخر الدين قباوة صـــ: ١٧٧- دار الآفاق الجديدة بيروت- الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـــ- ١٩٨٠م.

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة: (نضد) ٤٢٣/٣- الناشر دار صادر – بيروت- الطبعة الأولى.

(٣) نفس المرجع السابق والصفحة.

القصر هو أن خلو الدار من ساكنيها جاء على غير ما كان يتمناه ويريده، فكذبته نفسه، فأكد لها هذه الحقيقة الأليمة عن طريق النفي والاستثناء الذي يخاطب به المنكر، أو ما ينزل منزلة المنكر كما ذكر البلاغيون(١)

وقد حذف المضاف إليه في قوله: (ثلاث) أي ثلاث أثاف، وهي أحجار ثلاثة توضع عليها القدر فوق الموقد(٢)، وحذف المضاف إليه أنسب ما يكون بتغير صورة الأثافي وهيئتها وشكلها، وأنها أقرب إلى الانمحاء، فهي بعيدة عن صورتها التي كانت عليها، كما في الحذف دلالة أنه لا يميزها إلا عددها دون جوهرها وحقيقتها.

وهذه الدلالة للحذف تتوافق مع ما عطف على (ثلاث) وهو قوله: (وهابٍ محيلٍ هامدٍ متلبدِ) فهي تعبر عن هيئآت وأشكال مباينة لأزمان عمار تلك الديار.

وقد ذكر الأعلم الشنتمري أنه قد شبه الأثافي في لونها بالحمام؛ لأنها سود تضرب إلى الغبرة وكذلك القماري(٣)، فالأثافي وإن كانت في الأصل سودًا من أثر الإحراق فيها، إلا أنها لما تعرضت لعصف الرياح والأمطار صارت أقرب إلى الغبرة، فالتشبيه ينسجم مع البيت السابق ويؤيده ويدعمه، وكذلك ينسجم مع قوله: (وهاب محيلٍ، هامدٍ، متلبدِ).

وإنما ذكر الأثافي وجعلها مما يقصر عليه البقاء؛ وذلك لأنها رمز للكوارث والمصائب والشر، يدل على ذك قول الأزهري:" قولهم: (رماه بثالثة الأثافي) معناه: أنه رماه بالشر كله، فجعله أثفية بعد أثفية، حتى إذا

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني- صـــ: ١٠٩- تحقيق: محمود محمد شاكر- الناشر مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة-الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـــ - ١٩٩٢م. والإيضاح صـــ: ١٢٥.

(٢) اللسان مادة (أثف) ٣/٩.

(٣) شرح الأعلم لديوان زهير صـــ: ١٧٨.

رماه بالثالثة لم يترك منها غاية"[١].

وقوله: (وهابٍ محيلٍ هامدٍ متلبدِ) وهاب: رماد عليه هبوة، أي غبرة، ومحيل: أي أتى عليه الحول، وهامد: خامد، وملبد: من الأمطار[٢]، وهي كنايات عن قدم هجران هذه الديار، وهذا يدل على عظم حبه لأهلها، وأن الأزمان الطويلة لم تطفئ جذوة الحب، فها هو يقصدها للوقوف عليها، واسترجاع شيء من الذكريات السعيدة فيها.

وفي البيت الرابع يذكر أنه وقف أمام الديار، وتوجه بالخطاب والسؤال إلى ما تبقى من الديار، وفي هذا البيت قد فصل قوله: (وقفت بها رأد الضحاء) عن قوله: (أربت بها الأرواح....) لأجل شبه كمال الاتصال، إذ تقتضي هذه الأوصاف التي وصفها لتلك الديار أن يسأل ماذا فعلت بعدما غشيت ديار الأحباب المهجورة؟ فجاء هذا البيت جوابًا عن ذلك.

ويلاحظ أن الاستئناف البياني جاء بلا توكيد، أي غير مبني على أن سائلًا تبادر إلى ذهنه مضمون جملة الاستئناف البياني، فلم يكن من تنزيل غير السائل منزلة السائل.

وإنما جاءت جملة الاستئناف البياني بلا توكيد؛ وذلك لأن ما ذكره الشاعر من أوصاف الديار ومعالم الهجران البادية عليها تجعل السامع لا يتوقع أن يقف عليها ويسائلها على هذا النحو المبين في الشاهد؛ فكان الأولى كما صنع زهير أن يبني الأسلوب على أن السامع خالي الذهن من الخبر، فيجيء بلا توكيد.

وهذا التأويل أدل على التعلق بديار الأحباب، فهي على الرغم من كونها

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري- ١٠٨/١٥ - تحقيق: محمد عوض مرعب - الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت - الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

(٢) شرح ثعلب صـــ:١٦٠.

في هيئة وحال لا يتوقع معه أن تصلح للزيارة إلا أنه يتوجه إليها، بل ويسائلها.

وهذا البيت ذكره ثعلب ولم يروه الشنتمري[١]، وإثبات هذا البيت أنسب بالسياق؛ لأنه يقول في البيت الذي يليه : (فلما رأيت أنها لا تجيبني) والذي يدل على أن الديار لم تجبه ، وليس هناك ما يدل على أنه توجه بسؤال إلى الديار غير هذا البيت الذي ذكره ثعلب.

والرأد: رأد الضحى ارتفاعه حين يعلو النهار[٢]، ويلاحظ أنه فد اختار في الوقوف على الديار أكثر الأوقات ضياء ونوراً(رأد الضحاء)، حتى يكون ذلك أدعى لتمييز معالم ماضيه السعيد في تلك الديار، فقد اختار الضحاء دون الضحى؛ وذلك لأنه كما يقول ابن منظور: "الضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار، وتبيض الشمس جدًا، ثم بعد ذلك الضحاء إلى قريب من نصف النهار"[٣]"

وقد آثر أن يقول: (وقفت بها رأد الضحاء) دون أن يقول – مثلاً– في رأد الضحاء؛ لإفادته استغراق الوقوف بديار أحبته جميع وقت الضحاء، بخلاف في رأد الضحاء، فالوقوف جزء من هذا الوقت، وليس كله.

وقد عبر عن الماضي بلفظ المضارع في قوله: (أسائل أعلامًا ببيداء قردد) لاستحضار الصورة العجيبة الغريبة، وهي مسائلة العلامات، ومناجاة الرسوم البالية، وللدلالة كذلك على طول الوقت الذي استغرقه الوقوف على الديار والتأمل فيها.

وفي هذا التعبير السابق استعارة مكنية، فقد شخص العلامات وجرى

---

(١) شرح ثعلب صـــ: ١٦١، و ينظر شرح الأعلم صـــ: ١٧٧–١٨٧، هامش رقم (٤).

(٢) اللسان مادة (رأد) ١٦٩/٣.

(٣) السابق مادة (ضحو)٤٧٤/١٤.

بينهما تساؤل، وكان يمكن أن يقتصر فقط على مجرد توجيه السؤال لتلك العلامات، وأن تظل العلامات على سكونها وجمودها، ولكن ما سلكه أدل على مدى تفاعل الشاعر وانفعاله وحزنه على هجران أهل تلك الديار لها، فهو لم يوجه سؤالًا فقط، ولكن تصور مشاركة في التساؤل كما هو دلالة صيغة (فاعل)، يقول سيبويه: "إذا قلت: فاعلته، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت فاعلته"(١)

والتقييد بالجار والمجرور (ببيداء) يدل على العناء والتعب في الوصول إلى تلك الديار، واختياره لهذه اللفظة أنسب ما يكون بحالة خلو الديار من السكان، فمادتها تدل على الهلاك والفناء، والتنكير فيها دال على التهويل.

القردد: المكان الغليظ المرتفع(٢)، ووصف البيد بهذا الوصف يضاعف ما دل عليه الموصوف (بيداء) من الدلالة على العناء والمشقة في الوصول إلى ديار الأحباب.

---

(١) الكتاب لسيبويه ٤/٦٨- تحقيق: عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي- الطبعة الثالثة ١٤٠٨-١٩٩٨.

(٢) اللسان مادة(قرد) ٣/٣٨٤.

السياق الثاني: رحلة الجمالية إلى الممدوح

٥- فَلَمَّا رَأَيْــتُ أَنَّهــا لا تُجِيبُنِــي ∴ نَهَضْتُ إِلى وَجْنــاءَ كالفَحْــلِ جَلْعَــدِ

٦-جُمالِيّةٍ لمْ يُبْقِ سَيري ورِحْلَتــي ∴ على ظَهرِها مِنْ نَيِّهــا غيــرَ مَحْفِــد

٧-مَتى ما تُكَلِّفْهــا مَفَــازةَ مَنْهَــلٍ ∴ فتســتعفَ، أو تنهــكْ إليــهِ، فتجهــدِ

٨-تردهُ ولمّا يخرجِ السوطُ شــأوها ∴ مروحاً، جنوحَ الليــلِ، ناجيــةَ الغــدِ

٩-كهَمِّكَ إن تجهد تَجِدْها نجيحــة ∴ صــبورًا وإن تســترْخِ عنهــا تزيَّــدِ

١٠-وتنضحُ ذفراها بجــونٍ كأنّــهُ ∴ عَصِيمُ كُحَيلٍ فــي المراجــلِ مُعقَــد

١١-وَتُلوي بريّانِ العَسِــيبِ تُمِــرّهُ ∴ على فَرْجِ مَحــرُومِ الشّــرابِ مُجــدَّدِ

١٢-تُبادِرُ أغْوَالَ العَشِــيّ وتَتّقــي ∴ عُلالَةَ مَلــويٍّ مــنَ القِــدّ مُحصَــدِ

وفي هذا السياق يتناول وصف الراحلة التي حملته إلى الممدوح، وأن الرحلة إليه جاءت عقب يأسه من استجابة ديار الأحباب لمخاطبته ومناجاته، فتوجه إلى الراحلة الصلبة القوية، والتي تشبه الجمل في عظم خلقها، والتي تنجز ما تكلف به بدون أن يصيبها جهد، وذلك على سبيل العفو منها، بلا إكراه منه.

والفاء في قوله: (فَلَمَّا رَأَيْتُ.....) لترتيب معنى على معنى، فالمعني الذي بعدها ترتب على المعنى الذي قبلها، فرحلته وهجره لديار الأحبة التي غشيها مترتبة عن أنه لم يجد أنيسًا فيها ، وأن معالم البلى والوحشة تلفها.

وتستشعر من الفاء ودلالتها على التعقيب، و(لما) ودلالتها على الحين[1] السرعة في الرحيل عن تلك الديار، وعدم إطالة الوقوف عليها.

---

(١) حروف المعاني لأبي القاسم الزجاجي صـ :١١ – تحقيق : د. علي توفيق الحمد– مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

وواضح أن زهيرًا لم يقف طويلًا على أطلال ديار المحبوبة، فوقوفه على الطلل لم يستغرق إلا أربعة أبيات؛ ولذا قد اجتهد في أن يجعل تلك الديار لا تصلح للإقامة، وأنها صارت بعيدة عن عهده بها، ومن أجل ذلك قد اختار الفعل (رأيت) لدلالته على أن رحيله عن ديار الأحباء داعيه مبني على يقين.

وكذلك واضح حسن التخلص في الانتقال من الوقوف على أطلال الأحباب إلى الحديث عن ناقته، وعلى الرغم من الانتقال إلى غرض آخر تجد الأسلوب متماسكًا مترابطاً، وكان للفاء الدور البارز في ذلك.

ومن حسن بنائه إيثاره للنفي بـــ (لا) في قوله: (رَأَيْتُ أَنَّها لا تُجِيبُنِى) لأنها تنفي الحال والمستقبل[1]، فليس هناك أمل في إجابتها ولو مستقبلًا، فليس الرحيل عن هذه الديار باعثه سبب حدث في الزمن الماضي، بل هو لا يتوقع الإجابة لا في الحال ولا المستقبل.

والتوكيد في قوله: (رَأَيْتُ أَنَّها لا تُجِيبُنِى) لمجيء الأمر على خلاف ما يرغب، وهو دال على الحرقة التي أصابته في رحلته إلى ديار الأحباب.

و(إلى) في قوله: (نهضت إلى...) لانتهاء الغاية، فمنتهى غايته ومقصده الذي يساعده على القيام بهذه الرحلة هو ما دخلت عليه (إلى)، وهو راحلته الوجناء القوية الصلبة.

وقد بدأ في وصف راحلته التي امتطاها في خروجه إلى ديار الأحباب بهذه الصورة التشبيهية لناقته (وَجْناءَ كالفَحْلِ جَلْعَدِ) والوجناء: يقال : ناقة

---

(١) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي– صـــ: ٢٩٠– تحقيق: د/ فخر الدين قباوة – والأستاذ/ محمد نديم فاضل – دار الكتب العلمية، بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٣ هـــ – ١٩٩٢ م.

وجناء وهي تامة الخلق غليظة لحم الوجنة[١] فالعبارة قائمة على حذف الموصوف والاكتفاء بالصفة، فالأصل ناقة وجناء، وحذف الموصوف إيجازًا للعلم به، ودلالة علي ما تتمتع به من وجنتين غليظتين وسمنة بالغة، حتى صح أن تسمى الناقة بصفتها.

والتشبيه دال- كما يرشد وجه الشبه المذكور (جلعد)- على الشدة والصلابة كما هو معنى الكلمة [٢].

وقد استشعر زهير أن كونها ناقة يمكن أن يلمح منه ضعفها وخورها بخلاف الجمل، ولذا شبهها بالفحل، وهو ما هو في اكتمال مظاهر القوة، وعنفوان الشباب وعظم البأس!

وكلمة (جلعد) بمبناها ومعناها دالة على القوة والصلابة، وهذه المعاني أنسب ما يكون بالقدرة على تحمل مشاق السفر وعنت دروب البيد.

ويروي ثعلب (جُماليّةٍ) بالجر[٣]على أنها نعت ثان لوجناء، ويروي الأعلم(جماليةٌ) بالرفع[٤]، على أن جمالية خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي جمالية) حذف للقطع والاستئناف، إشارة إلى تميز هذا الجزء من المعنى في وصف الراحلة، وأنه جدير بأن يبرز، وأنها أوصاف ذات قدر ترفع من قدرها.

ورواية الأعلم أبلغ لما ذكر، وهذا التركيب صورة تشبيهية، يعني أنها في عظم خلقها وكمال بدنها كالجمل.

وقوله: (لم يبق سَيري ورِحْلَتي...) مقطوعة عما قبلها، لأنها تستأنف

---

(١) اللسان مادة(وجن)٣/٤٤٣.

(٢) السابق مادة (جلعد) ٣/١٢٨.

(٣) شرح ثعلب صـــ: ١٦١.

(٤) شرح الأعلم صـــ: ١٧٨.

وصفًا جديدًا للناقة، وهو ضمورها، وهو أسلوب قصر حقيقي ادعائي يدل علي مدى الجهد الذي بذلته الناقة معه، وانقيادها التام والكامل له، وأنها بذلت معه أقصى ما تستطيعه.

ويدل أيضا على بعد أسفاره وتجشمه المصاعب الهائلة واجتيازه العقبات الكؤود، كما يعكس الهدف العظيم الذي يسعي إليه، والذي من أجله يتحمل بذل الجهد الوفير، ولعله- أيضا- لجأ إلى القصر كي يشير إلى غرابة المعنى الذي يتناوله.

وقد دفع الشاعر ما يمكن تصوره من خلال هذا القصر أن الناقة كانت ضعيفة أو هزيلة بما أشار إليه في السياق من أنها في تمام القوة واكتمال البنيان، كما يعبر عنه قوله:(كالفحل جلعد) وقوله: (جمالية).

وقوله: (من نيها)، والني هو الشحم[1]، والإضافة إلى ياء المتكلم في قوله: (سَيري ورِحْلَتي) تشعر بالتلازم بين الشاعر وبين السير والرحلة كتلازم المتضايفين، وهذا أنسب ما يكون بدلالات القصر.

وقد اختار أن ينسب إلى الجمع في (جمالية) وذلك لإفادة أن فيها أوصاف جميع الجمال، وليس جملًا واحدًا، وعلى ذلك درج العديد من الشعراء عند وصف الناقة بالقوة والصلابة، كقول طرفة بن العبد:

جُماليّــةٍ وجْنَــاءَ تَــردي كأنّهــا ∴ سَــفَنَّجَةٌ تَبــري لِــأزعَرَ أربــَــدَ[2]

وقول الشماخ:

جُماليّة لو يجعل السّيف غرضها ∴ على حدّه لاستكبرت أن تضــوّرا [3]

---

(١) اللسان مادة(نيى) ٣٤٧/١٥.

(٢) ديوان طرفة بن العبد صــ: ٢٠- تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين - دار الكتب العلمية- الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ هــ - ٢٠٠٢ م.

(٣) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني صــ:١٣٤- تحقيق: صلاح الدين الهادي- دار المعارف مصر١٩٦٨م.

وقول المرقش الأكبر:

عَرْقـــاءُ كالفَحْـــلِ جُمَالِيَّـــةٌ ∴ ذَاتُ هِبَـــابٍ لاَ شـــتكى السَّـــأَم[١]

واختياره للمقصور عليه (المحفد) وهو أصل السنام[٢] يدل على أنه قد كلف راحلته أقصى جهدها، ويعكس رشاقتها وسرعتها، فليس شحم في بدنها؛ لأن المتبقي هو أصل السنام، وهو لا يعد شحمًا، فالمقصور عليه دليل على ما وصلت إليه الراحلة من صلابة.

وقوله: (متى ما أكلفها....) مقطوع لاستئناف معنى جديد، وهو انقيادها له، فهو إذا كلفها بالسير طوال النهار بحيث لا ترد منهل الماء إلا في أول الليل فإنها ترده، وهي تسير عفوًا بلا جهد منها.

"وقد يبدو أن هذا القطع والاستئناف عند النظرة السريعة مظنة تبتير الكلام وتمزيقه، والحق أنه كان تواترًا لجمل يتواتر بعضها على بعض، لتبين حقيقة واحدة، وهي صفات هذه الناقة من الجهات التي ذكرها"[٣].

وكذلك يلحظ أن الجمل الاستئنافية هنا مبنية على ضمير مفهوم من الكلام السابق، سواء أكان ضميرًا منفصلًا مثل (جمالية) أو كان ضميرًا متصلًا مثل (تكلفها)، وقد كان لهذا الضمير دور ظاهر في ربط هذه الجمل، وتوثيق صلات بعضها ببعض[٤]

وقوله: (متى ما أكلفها....) هو رواية ثعلب[٥] وهو بلا التفات إلى

---

(١) المفضليات للمفضل الضبي صـــ: ٢٢٩- تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون – دار المعارف – القاهرة- الطبعة السادسة.

(٢) اللسان مادة (حفد) ١٥٤/٣.

(٣) نسق الكلام في شعر زهير صـــ: ٣٦٨.

(٤) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٥) شرح ثعلب صـــ: ١٦١.

الخطاب، بخلاف رواية الأعلم (مَتى ما تُكَلِّــفْها)[١] فإنها مبنية على الخطاب.

ورواية الخطاب أقوى؛ لدلالتها على أنه ليس رأيًا خاصًا منه وتقديرًا منه وحده لقوة راحلته، بل كل من يصلح للخطاب يدرك قوتها وطاقتها العظيمة.

وأسلوب الخطاب أبر بما في المعاني التي يحويها البيتان من قوة واقتدار للراحلة وإشعار بأنه لا يتزيد فيها ولا يبالغ، بل كافة من يصلح للخطاب يمكن أن يدركها ويقف عليها ويعاينها، ومثل هذا المعني الدال على فرط قوة الراحلة أحق بالاعتناء به ومعاينتهم له، وهو ما يحققه الخطاب" وأما خطابه كل من يتأتى منه الخطاب، فهي طريقة فذة، ولا تنقاد إلا لمن يعرف كيف يسوس الكلام، وهي كثيرة جدًا في شعر زهير، ومخاطبته قارئ شعره تدخل في هذا الباب"[٢]

واختياره كلمة (تكلفها) تتناسب مع تسويته بين أن يصدر الفعل منها عفوًا بلا إرهاق أو يصدر بعد إكراه، فتنهك وترهق، وذلك في قوله: (فتستعفَ، أو تنهكْ إليهِ) وذلك لأن التكليف يكون لما له ثقل، أو لا ثقل له[٣].

وقد روى ثعلب (مفازة منهل) وروى الأعلم (مآبة منهل) ومآبة: أن تسير نهارها ثم تؤوب إلى المنهل ليلاً، والمنهل : مكان الشرب[٤]، ورواية الأعلم أقوى لأنها أدل على المشقة وصعوبة السفر وطول مسافة الترحال.

ولاحظ أنه قد قدم (فتستعف) على قوله: (تنهك إليه) لأنه الأنسب بالدلالة على تميز الراحلة، وذلك لأنه يدل على أن ما يصدر منها عفوًا في

---

(١) شرح الأعلم صـــ:١٧٨.

(٢) نسق الكلام في شعر زهير صـــ:٨٥.

(٣) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري صـــ: ٢١٦ – تحقيق: محمد إبراهيم سليم– دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة .

(٤) شرح الأعلم صـــ: ١٧٩، وينظر لسان العرب مادة (نهل) ٦٨١/١١.

سيرها بلا إكراه كفيل بالوصول إلى الهدف والغاية.

ويروى (فتَسْتَعْفِ) بالبناء للفاعل أي تعطيك ما عندها عفواً، ويروى(تُسْتَعْفَ) بالبناء للمفعول أي يؤخذ عفوها[1]، والرواية الأولى أنسب بالدلالة على انقياد الراحلة وطواعيتها له، وإن كانت الرواية الأخرى تحقق تجانساً لفظيًا في البناء للمفعول مع قوله: (تنهك).

وتدل الفاء في قوله: (فتسعف) على سرعة استجابة الراحلة لتكليفه لها بالسير إلى مصدر الماء.

وقوله: (تنهك) كناية عن الإجبار والإكراه على المشي، والتعبير الكنائي أدل على قسوة الضرب للراحلة والشدة فيه، ولذا رتب عليه قوله: (فتجهد).

ولعلك تلاحظ التضاد بين قوله: قوله: (تستعف) وقوله(تنهك)، وهو من أقوى ما يبرز قوة الراحلة، فطواعية الراحلة والإكراه لها سواء بسواء في المآل والنتيجة.

وكذلك اختياره لـــ (لما) دون(لم) في قوله: (ولمّا يخرجِ السوطُ شأوها) وذلك لأنه يلزم اتصال النفي فيها بالحال، يقول المرادي:" المنفي بـــ(لم) لا يلزم اتصاله بالحال، بل قد يكون منقطعًا، وقد يكون متصلًا، بخلاف(لما)، فإنه يجب اتصال نفيها بالحال"[2].

ويقتضي اتصال النفي بالحال أنه وصل إلى زمان الحال، ولم يصل إلى أقصى ما تقتدر عليه الراحلة، مما يكشف عن تميز الراحلة، وبلوغها في النشاط مبلغًا هائلًا

والإسناد في قوله: (ولما يخرج السوط شأوها) من قبيل إسناد الفعل إلى آلته، وهو دال على فرط العنف والقسوة في حث الراحلة على السير.

---

(١) شرح ثعلب صـــ: ١٦١.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني صـــ: ٢٦٢.

وملاحظ أنه قد تولد من كل من الشرط والجزاء جمل تثري الصورة، وانبجث منهما صورًا عديدة ذات تأثير في تحقيق المقصود والوصول إلى الغاية من الدلالة على قوة الراحلة وصلابة بدنها،" وهذا من توالد المعاني والتراكيب في النظم العالي.. وهو نوع من الوصل عجيب غريب"(١).

ومما يتعلق بذلك من خصائص بناء زهير لتراكيبه أن الجمل عنده تطول، ويخرج من الجملة الرئيسة العديد من الجمل، ولا تجد بسبب ذلك تعاظلًا(٢) وتداخلًا في النظم.

ولعل ذلك هو سبب وصف عمر بن الخطاب شعر زهير بعدم المعاظلة في المنطق(٣) وهو أنه على الرغم من طول التراكيب لا تجد تداخلًا أو تقديمًا أو تأخيرًا تلبس المعنى وتغمضه، وليس المقصود مطلق عدم إركاب الكلام بعضه فوق بعض، الذي هو مفهوم المعاظلة عند البلاغيين، وإنما المزية عند زهير أن ذلك يتحقق مع طول التراكيب، الذي من شأنه أن يؤدي أكثر إلى التداخل، وإركاب الكلام بعضه فوق رقاب بعض.

ويروى ثعلب (مروحٌ جنوحُ الليل ناجيةُ الغد) بالرفع بتقدير مبتدأ محذوف خبره (مروح)، ويروي الأعلم بالنصب(٤) على أنها أحوال قيدت بها جملة (ولما يخرج السوط شأوها) وهو الأولى، وذلك لأن القول بالحال يؤدي إلى المبالغة في قوة الراحلة، وذلك ببيان أنه على الرغم مما وصفه الشرط

---

(١) نظرات بيانية في قصيدة جعفرية صـــ: ٥٧.

(٢) المعاظلة هي: مداخلة الكلام بعضه في بعض، وركوب بعضه لبعض- ينظر الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي، ٢٩٣/١ – تحقيق: السيد أحمد صقر – دار المعارف – الطبعة الرابعة- سلسلة ذخائر العرب .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد صـــ:١٥٧- تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم – دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٤) شرح ثعلب صـــ:١٦١، وشرح الأعلم صـــ: ١٧٩.

والجزاء وما تعلق بهما مما يدل على ما يؤدي إلى إجهاد بالغ للراحلة وقسوة شديدة في حثها على الرحلة، إلا أنك تجد حالها مروحًا نشيطة سريعة لم يؤثر فيها كثرة السير وتواصله إلى الصباح.

أما رواية الرفع فيضعفها أنها تؤدي إلى قطع الجملة عما قبلها، كما أنه ليس فيها من المبالغة في قوة الراحلة ما في رواية النصب.

وتدل الأحوال (مروحًا، جنوحَ الليلِ، ناجيةَ الغدِ) على اعتياد الراحلة بذل الجهد، وأن دأبها السرعة، وأنه شيء في طبعها الذي جبلت عليه، وراجع في ذلك صيغتي المبالغة (مروحًا) (جنوح)، وإضافة جنوح إلى الليل على قبيل التجوز للدلالة على أن نشاطها استمر طوال الليل، وليس وقتًا يسيرًا.

(مروحا): من المرح، وهو النشاط، جنوح: تجنح في سيرها أي تميل من النشاط، (ناجية الغد) أي تنجو بمعنى تسرع، يقول: تمضي إذا سارت ليلتها نجت من الغد، أي لم يكسرها ذلك(١).

وقد جاء قوله: (مروحاً، جنوحَ الليلِ، ناجيةَ الغدِ) بدون عطف بالواو للإشارة إلى أن هذه الأوصاف مجتمعة في الراحلة، وكأنها صفة واحدة، وهذا هو سر ترك العطف بين الصفات في قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ﴾(٢)، فسقوط الواو للإشارة إلى أنهم " الجامعون لهذه الخصال"(٣).

---

(١) شرح ثعلب صـــ:١٦١، وما بعدها.

(٢) التوبة :١١٢

(٣) الكشاف للزمخشري- ٣١٤/٢- دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـــ- وينظر دلالات التراكيب- أ.د/ محمد أبو موسى- صـــ: ٢٨١ – مكتبة وهبة- الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـــ- ١٩٨٧ م.

وقوله: (ناجية الغد) تكميل[1]، وذلك أن سيرها وجنوحها طوال الليل مدعاة لكي يظن أنها ستركن في غدها إلى الراحة من جهد سراها ليلاً، فجاء بهذه الحال لدفع هذا الوهم.

وزاد في دفع هذا الوهم بإضافة اسم الفاعل (ناجية) إلى زمانه على سبيل المجاز العقلي للمبالغة في قوة الراحلة، حتى استغرقت سرعتها طوال الغد، وليس جزءًا منه.

والتشبيه: (كهَمِّكَ إن تجهد تَجِدْها نجيحة) يريد منه الدلالة على السرعة والمبادرة والتبكير من الراحلة إلى تحقيق الهدف الذي يرجوه، حتى إن استجابتها شبيهة بما يهم به من أفعال.

ولذا فالتشبيه أنسب ما يكون للدلالة على سهولة بذل الجهد من الراحلة، وقبولها لتوجيهه لها أينما أراد، وهو ما أداه اختيار المشبه به (الهم).

وهذا التشبيه من مبتكرات زهير وجاراه فيه الشعراء من بعده في سياقات مختلفة، كقول ابن المعتز:

وفِتيانٍ كهمّكَ من أُناسٍ ∴ خِفافٍ في الهُدُوّ وفي الرّواحِ[2]

وقول الأبيوردي:

أَيُوعِدُني الحَيُّ اليَماني وَصارِمي ∴ كَهَمِّكَ، مَفتوقُ الغِرارَينِ مُرهَفُ[3]

---

(١) التكميل: وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك التوهم- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للبهاء السبكي ٦١٣/١ - تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي- المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت -الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٢) ديوانه صـ:١٣٧- دار صادر بيروت.

(٣) ديوانه صـ: ٢٠٧- المطبعة العثمانية في لبنان ١٣١٧هـ.

وقول ابن الرومي:

وإنّ سهامي لمَبرية ∴ كهمِّك من عُدة الثائر

وكقوله أيضا:

أعدَّتْه بنو العباس ذُخراً ∴ كَهَمِّك ذلك الذخر المُعَدُّ[1]

ويذهب بعض الباحثين[2]إلى أن أداة الشرط (إن) في البيت لمجرد الربط، وأن الغرض هو مطلق التسوية بين الحالتين: حالة إجهاد الراحلة، وحالة تركها تسير بلا إكراه.

والأولى في تقديري أن تظل (إن) على أصلها في الموضعين، وهو الدلالة على الشك وندرة وقوع الشرط؛ لأن هذا المعنى يحقق دلالات لا تكون مع مجرد اعتبارها أداة ربط.

ففي الموضع الأول تدل على الشك في إصابة التعب والإرهاق لها، وفي الموضع الآخر دلالة على الشك في أن الممدوح يترك حثها على السرعة وبذل أقصى ما تطيقه.

وقد حذف المفعول في قوله (تجهد) إذ الأصل: إن تجهدها، والحذف من تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم قصدًا إلى توفر العناية على إثبات الفعل للفاعل دون نظر إلى التعلق بمفعول، فيكون المعنى أنه يكون من الراحلة ما من شأنه أن يكد ويرهق أي راحلة.

وإذا كان قد حذف المفعول العائد إلى الراحلة في قوله: (تجهد) فإن من ملامح الدقة عند زهير أنه يذكره في قوله: (تجدها) لأنه لا يريد تلك الفائدة التي قصدها في الحذف السابق، بل هي مضعفة لهدفه ومبتغاه؛ إذ لو فسر

---

(١) ديوان ابن الرومي١/٥٠٠، ٦٢/٢ على الترتيب- شرح أحمد حسن بسيج – دار الكتب العلمية بيروت- الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ –٢٠٠٠م.

(٢) نسق الكلام في شعر زهير صـ:٤١٧.

الحذف بهذا السر لكان المعنى أنه كان من الراحلة ما من شأنه أن تجده من كل راحلة.

وقوله: (نجيحة) من النجح، وهو الظفر بالشيء[١]، وقد بناه على صيغة المبالغة، وقوله: (صبوراً) تكميل لدفع ما يمكن أن يتوهم أن نجاحها في تحقيق ما أجهدها من أجله كان بدون تحمل منها وتصبر على إكراهها كما هو المعتاد في غيرها من الرواحل، بل كانت على هذا النحو من حبس النفس والتحكم فيها وقسرها على ما تبغضه على النحو المبالغ فيه، الذي عبرت عنه صيغة المبالغة التي بنيت عليها مادة الكلمة.

وبذهب بعض الباحثين إلى أن الواو في قوله: (وتنضح ذفراها بجونٍ) للاستئناف، أي استئناف لبيان صفة العرق الذي نضح من العظم الناتئ خلف الأذن فقد نضح عرقًا، كأنه قطران معقد[٢]

والأولى أن تكون الواو في قوله: (وتنضح ذفراها بجونٍ) عاطفة على قوله: (ولمّا يخرجِ السوطُ شأوها)، وبذلك تكون هذه الجملة بمثابة الحال الأخرى لقوله: (ترده)، وذلك لأن الواو للتشريك[٣].

وهذا أنسب بترابط المعاني من أن تكون الواو استئنافية، وأدل على مدى استجابة الراحلة لما يريده منها؛ وذلك من جهة الدلالة على أنها متى كلفها مآبة المنهل ترده على هذه الحال من بذل الجهد الجهيد الذي يعبر عنه قوله:

تردهُ ولمّا يخرجِ السوطُ شـــأوها ∴ مروحًا، جنوحَ الليـــلِ ناجيـــةَ الغـــدِ

---

(١) لسان العرب مادة: (نجح)٢/٦١١.

(٢) نسق الكلام في شعر زهير صـــ: ٣٦٩.

(٣) مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني صـــ :١٣٦، دار الفكر الطبعة الأولى ١٤١١هـــ.

و كذلك قوله:

وتنضحُ ذفراهـــا بجـــونٍ كأنّـــهُ ∴ عَصِيمُ كُحَيلٍ فـــي المراجـــلِ مُعقَـــد

ويذهب ثعلب إلى أن كل ثخين نضخ، وكل رقيق نضح[١]، واستعمال زهير يدل على ما ذهب إليه؛ فقد استعمل النضح مع العرق وهو رقيق، في قوله: (تنضح ذفراها)

وفي قوله: (الذفريان): الذفرى من القفا هو الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن، و(الجون): هو الأسود، وعرق الإبل أول ما يبدو يكون أسوداً، ثم يصفر[٢]، والتنكير في (جون) للنوعية، أي بعرق أسود غير المتعارف عليه، وقد رشح لهذه الدلالة ما وصفت به النكرة، وهو قوله: (كأنه عصيم...).

وقد آثر أن يعدي الفعل (تنضح) بالباء في قوله: (بجون) دون أن يعديه بنفسه؛ وذلك لما في الباء من معنى الملاصقة والمصاحبة، مما يؤذن أن عرق الراحلة لم ينقطع واستمر في الانهمار، فقد ظل مصاحبًا لذفريها، وهذا يناسب الجهد الذي بذلته الراحلة.

و(العصيم): الأثر، و(كحيل): القطران، و(معقد): يريد مطبوخًا[٣]، والتشبيه (كأنّهُ عَصِيمُ كُحَيلٍ في المراجلِ مُعقَد) فيه دلالة على شدة سواد العرق الذي رشح من ذفري الراحلة، ولم يكتف في ذلك بقوله: (عصيم كحيل) بل قيده بقوله: (في المراجل معقد) وهذا يؤذن بشدة السواد، فهو إيغال[٤].

---

(١) شرح ثعلب صـــ: ١٦٢ .

(٢) شرح الأعلم صـــ:١٨٠.

(٣) شرح ثعلب صـــ: ١٦٢.

(٤) الإيغال: هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، كزيادة المبالغة- عروس الأفراح ٦٠٩/١.

وكذلك هذا القيد يدل على حرارة القطران، وهذا يناسب المشبه، وذلك لأن عرق الراحلة عند انصبابه منها يكون حارًا من أثر ما تبذله من جهد.

ومن ملاح الدقة في صياغة الصورة التشبيهية أنه لم يشبه عرق الراحلة بمطلق كحيل، بل بعصيم منه أي أثر؛ إذ المناسب أن يشبه قطرات العرق بأثر من القطران، لا مطلق القطران.

وقريب من هذا التشبيه قول أوس بن حجر يصف أيضًا عرق راحلته:

كـــأنَّ كُحـــيلاً معقـــداً أو عنيّـــةً ∴ على رجْعِ ذفرَاها من اللِّيتِ واكـــفُ[1]

وكذلك قول جرير:

تَغَيّضُ ذِفْرَاهَـــا بِجَـــوْنٍ، كأنّـــهُ ∴ كحيلٌ جرى في قنفذِ الليـــت نـــابعِ[2]

والفارق بين هذه التشبيهات أن تشبيهي" أوس بن حجر" و" زهير" يظهران شدة سواد العرق، أما عند جرير فيلاحظ إلى جانب هذا الغرض الدلالة على سرعة انهمار العرق.

وقوله: (تلوي) أي تضرب بذنبها يمنة ويسرة[3] وقد عطف على قوله: (تنضحُ) في البيت السابق، إذ بينهما توسط بين الكمالين مع عدم المانع، فالجملة الأولى خبرية لفظًا ومعني، والثانية كذلك، وقد أفاد الوصل تناميًا في

---

(١) ديوان أوس بن حجر صـــ:٦٧- تحقيق: محمد يوسف نجم - دار بيروت للطباعة والنشر بيروت١٤٠٠هـــ-١٩٨٠، العنية أبوال الإبل تخثر إذا وضعت في الشمس، الليت: صفحة العنق، واكف: سائل، ينظر اللسان مادة (عني)١٠٢/١٥ و(ليت) ٨٦/٢ و(وكف)٣٦٢/٩.

(٢) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ٩٢٢/٢ - تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه - دار المعارف، القاهرة - مصر الطبعة: الثالثة، القنفذ: مسيل العرق من خلف أذني البعير، ينظر لسان العرب مادة(قنفذ) ٥٠٥/٣.

(٣) شرح ثعلب صـــ: ١٦٢.

المعنى، حيث دل على صورة أخرى من صور نشاط وقوة الراحلة.

وقوله: (ريان) أي ممتلئ غليظ، و(العسيب): عظم الذنب الذي ينبت عليه الشعر، أي عسيب ريان، وهو وصف محمود في الإبل مذموم في الخيل(١).

وقوله: (ريان العسيب) من إضافة الموصوف إلى صفته، فالأصل العسيب الريان، وفائدة العدول عن الأصل هو مزيد العناية بالصفة، فالإضافة هي التي مكنت من مزيد العناية بالصفة، ومزيد العناية بالصفة إنما كان بالتقديم، إذ هم يقدمون الذي هم ببيانه أهم، وهم بشأنه أعنى(٢)، والأصل أن يقدم الموصوف على الصفة، فاللجوء إلى هذه الحيلة الأسلوبية يكسب الأسلوب جزالة، ويجعل النفس تطرق إلى الصفة، وتجعلها هي المعيار لا مجرد وجود الموصوف، وهذا أدل على تميز الراحلة.

وقوله: (تمره) حال قيد به قوله: (تلوي) ومعناه: تذهب به وتجيء(٣)، فاللفظان (تلوي) و(تمر) معناهما متقارب، وهذا التقييد لتوكيد وفرة النشاط الذي تتمتع به الراحلة، وأنها تبلغ في تحريك الذنب أقصي اليمين، وأقصى اليسار.

و(الفرج) هو ما بين قوائم الدابة من الانفراج(٤)، فهو مجاز مرسل علاقته الكلية، حيث أطلق الكل وهو الفرج، وأراد به جزء منه وهو الضرع، وفائدة المجاز التدليل على عدم صلاحيتها للإرضاع، فأي جزء من الأصل الذي يخرج منه الضرع ويتفرع منه، ويتكون فيه اللبن لا يتوافر فيه لبن كما يفيد التركيب: (فرج محروم الشراب) وهذا التعبير كناية عن صفة، وهي أن

---

(١) شرح الأعلم صـــ: ١٨٠.

(٢) دلائل الإعجاز صـــ: ١٠٩.

(٣) شرح ثعلب صـــ:١٦١.

(٤) اللسان مادة: (فرج)٣٤١/٢.

الناقلة لم تلد ولم ترضع، وفائدة هذا المعنى التدليل على قوتها، فلم يضعفها لا ولادة ولا رضاعة.

ولم يكتف في وصف الضرع المعبر عنه بالفرج بقوله: (محروم الشراب) بل أعقبه بوصف آخر، وهو قوله: (مجدد) أي لا لبن في خلفها[١]، وهو معنى قوله: (محروم الشراب) فهو بمثابة التوكيد له، واستخدام صيغة الاسمية لإفادة الثبوت والدوام لعدم وجود لبن في خلفها، مما يدلل على متانة بنيانها، فلم يجهدها ولم يهدر قوتها يومًا ما رضاع ولا ولادة.

وفي قوله: (تبادر أغوال العشي) الفعل(تبادر) يتعدى بنفسه، ويتعدى بـــ (إلى) التي هي لمنتهى الغاية[٢]، ولم يجعله هنا متعدياً بـــ (إلى)؛ وذلك لأنه ليس منتهى غايته الوصول إلى أغوال العشي، وإنما هي مرحلة لا بد أن يتجاوزها للوصول إلى الهدف.

وقد فصل قوله: (تبادر أغوال....) لاستئناف معنى جديد من أوصاف الناقة، وهو أنها تبادر بمن يركبها، ولا تخشى الأهوال والمخاطر، حتى تصل إلى ما يرومه.

وكلمة أغوال: من استعمالاتها عند العرب الدلالة على مردة الجن والشياطين[٣]، ولذا استعارها للأمور المفزعة المهلكة التي يتعرض لها في أثناء الترحال في الصحراء على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

وتدل الاستعارة على غرابة المصاعب التي تلاقيها الراحلة في أثناء السفر، وأنها غير معهودة إطلاقًا، وأن التغلب عليها يحتاج إلى قدرات متميزة تسمو فوق قدرات مردة الجن والشياطين، وهي ما هي عند العرب في القدرات الخارقة! وقد ضاعف من تلك الدلالات صيغة الجمع الدالة على

---

(١) شرح ثعلب ص: ١٦١.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي صـــ:٣٨٥.

(٣) اللسان مادة(غول) ٥٠٧/١١.

تنوع المصاعب والأهوال التي تغلبت عليها الراحلة.

ويحتمل أن تكون الاستعارة من قبيل الاستعارة بالكناية، فيكون قد شبه العشي بجهة من جهات المسير يبادرها، فاستعار الجهة للعشي وحذفها، ورمز إليها بشيء من لوازمها وهي الأغوال، فالعشي استعارة مكنية، وتدل الاستعارة عندئذ على عدم تهيب المخاطر والأهوال، حتى إنه جسم زمان المخاطر (العشي) وجعله جهة مسير يبادر إليها ويتعجل اقتحامها كالطريق مثلاً، كما يدل هذا التأويل على قوة المعايشة والإحساس بما يجري في وقت العشي من مفزعات ومخاوف، وإثبات الأغوال للعشي من قبيل الاستعارة التخيلية.

وقد آثر (العشي) وذلك لأن العشي من زوال الشمس إلى الصباح[١]، وهذا يؤذن بامتداد وطول زمن المخاطر والصعاب التي تواجهها الراحلة.

وقوله: (تتقي) قد عطف على قوله: (تبادر)، إذ بينهما توسط بين الكمالين مع عدم المانع، فالجملة الأولى خبرية لفظاً ومعني، والثانية كذلك، وقد أفاد الوصل تناميًا في المعنى، حيث دل على السرعة المتناهية للراحلة، وانقيادها له، والرغبة القوية للشاعر في السرعة.

وقوله: (علالة) أي بقية يريد طرف السوط، وقوله: (القد) أي الجلد، وقوله: (محصد) أي شديد الفتل[٢]، والتعبير (مَلويٍّ منَ القِدّ مُحصَدِ) كناية عن السوط، وهي تبرز شدة إيلامه، واختياره (علالة) لأنه هو ما يحدث به الإيلام والإيجاع من أجزاء السوط.

وقوله: (ملوي) و(محصد) مما يزيد الإيجاع والإيلام بالسوط، والعناية بإبراز هذا المعنى والمبالغة في شدة السوط للإبانة عن قوة انقياد الراحلة، وعظم الدافع لها للسرعة وتنفيذها ما يراد منها.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ٢/ ٩٦.

(٢) شرح الأعلم صـــ: ١٨١.

السياق الثالث: الحديث عن الخنساء

كخنساءَ سفعاءَ الملاطمِ حرةٍ ∴ مسافرةٍ مزؤودةٍ أمِّ فرقدِ
غَدَتْ بِسِلاحٍ مِثْلُهُ يُتّقَى بهِ ∴ وَيُؤمِنُ جأشَ الخائفِ المُتَوَحِّدِ
وسامِعَتَينِ تَعرِفُ العِتْقَ فيهِمَا ∴ إلى جَذرِ مَدلوكِ الكُعوبِ مُحَدَّدِ
وناظرتينِ تطحرانِ قذاهما ∴ كأنّهُما مَكْحُولَتانِ بإثْمِدِ
طَبَاها ضَحاءٌ أوْ خَلاءٌ فخالَفَتْ ∴ إلَيْهِ السّباعُ في كِناسٍ ومَرْقَدِ
أضَاعَتْ فلَمْ تُغْفَرْ لها غَفَلاتُهَا ∴ فَلاقَتْ بَياناً عندَ آخِرِ مَعهَدِ
دماً عندَ شلوٍ تحجلُ الطيرُ حولَهُ ∴ وبضعَ لحامٍ في إهابٍ مقددِ
وتَنفُضُ عَنها غَيبَ كُلّ خَميلَةٍ ∴ وتخشى رماة الغوثِ من كلِّ مرصدِ
فجالتْ على وحشيها وكأنها ∴ مسربلةٌ في رازقيٍّ معضدِ
ولم تدرِ وشكَ البينِ حتّى رأتهمُ ∴ وقَدْ قَعَدُوا أنْفاقَها كُلَّ مَقعَدِ
وثاروا بها من جانبيها كليهما ∴ وجالتْ وَإنْ يُجشِمْنها الشدّ تجهدِ
تبذُّ الألَى يأتينها من ورائها ∴ وَإنْ يَتَقَدّمْها السّوابقُ تَصْطَدِ
فأنقذها من غمرةِ الموتِ أنها ∴ رأتْ أنها إنْ تنظرِ النبلَ تقصدِ
كأن دماء المؤسدات بنحرها ∴ أطبة صرف في قضيم مصرد

وفي هذه الأبيات ينتقل إلى صورة تشبيهية للناقة، فهو يشبهها ببقرة، ويأخذ في وصف هذه البقرة بأوصاف يريد خلعها على الناقة، والأوصاف التي وصف بها البقرة دالة على قوتها وشدتها وبأسها واقتحامها للأهوال وتعرضها للمصاعب الأليمة.

وهذه الأوصاف (المشبه به) التي يريد خلعها على ناقته قد استغرقت اثنتي عشرة بيتًا، وقد جاء المشبه به متلاحمًا مترابطًا على الرغم من هذا الطول، فقد جاء كما سيأتي مكونًا من جمل متولدة ومتفرعة بعضها من بعض، دون أن يتفكك نظم الكلام ويتداخل بعضه ببعض، وهذا من خواص الأسلوب عند زهير كما مر.

والخنساء: البقرة قصيرة الأنف، سفعاء: السوداء في حمرة، الملاطم: الخدود، مزؤودةٍ: مذعورة، فرقد: ولد البقرة(١).

وقد شبه الناقة بهذه البقرة في النشاط والحدة كما يذكر الأعلم(٢)، وقد آثر من أسماء البقرة (الخنساء)، وذلك لأن هذه الكلمة مشتقة من الخنوس، وهو الانقباض والتأخر والاختفاء، يقول ابن منظور: " خنس من بين أصحابه يخنس ويخنس بالضم خنوسا وخناسا وانخنس انقبض وتأخر"(٣)، وهذه الدلالات تليق بالبقرة المذعورة، والتي خرجت مسافرة بولدها، فحالها أقرب ما يكون إلى الانقباض والاستخفاء خوفًا على ولدها وعلى نفسها.

وإيثار (الملاطم) في التعبير عن الخدين أنسب ما يكون بسياق المخاطر والمخاوف التي تقتحمها الخنساء مع ولدها الصغير، وما يساور النفس من توقع العراك والمضاربة، وكذلك التعبير بصيغة الجمع دال على اكتناز الخدين، وامتلاء جسدها.

واختيار التعبير عن البقرة بالكنية(أم فرقد) دال على الارتباط الوثيق والتلازم الشديد بينهما.

وقد انتقل بقوله: (غدت بسلاح.....) إلى استئناف وصف جديد من أوصاف الخنساء، ولذا قطعه عما قبله.

---

(١) شرح الأعلم صـــ: ١٨١.

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة

(٣) اللسان مادة (خنس)٦/٧١.

وقوله: (بسلاح) مستعار لقرني البقرة على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، وهي دالة على حدة القرنين وقدرتهما على الدفاع عنها، والتنكير للنوعية، أي سلاح من نوع خاص غير معهود.

وقد آثر المثلية في قوله: (غَدَتْ بِسِلاحٍ مِثْلُهُ يُتّقَى بهِ) وذلك لأن المثلية تدل على الاتحاد التام، فهو الشبه من جميع الوجوه، يقول أبو هلال:" والمماثلة هِيَ أَن يسد أحد الشَّيْئَيْنِ مسد الآخر كالسوادين".(١)، فالذي يتقى به من السلاح ينبغي أن يكون مماثلًا لهذا السلاح على النحو الذي تعبر عنه كلمة(مثل) وهذا يدل على قوة السلاح، ونجاحه الفائق في تحقيق الهدف منه، لا سيما مع دلالة تقديم (مثله) على التقوية والتأكيد.

والطباق بين قوله:(يؤمن) و(الخائف) يبرز الانتقال والتحول الذي يصير إليه من تسلح بهذا السلاح.

وراجع الاسمية ودلالتها على الثبات والدوام في لفظة (الخائف) لإبراز مشاعر الخوف الهائلة التي كانت تنتاب هذا الخائف وتكتنف وجدانه، وتعايشه معها زمنًا طويلًا، وهذا يضاعف من الانتقال والتحول الهائل الذي أبرزه الطباق.

وآثر (جأش) دون الصدر أو النفس – مثلًا– وذلك لما تدل عليه الكلمة من بالغ الفزع والرعب، يقول الجوهري:" الجأْشُ: جَأْشُ القلب، وهو رواعُهُ إذا اضطربَ عند الفزع "(٢)، فاستخدام الكلمة يدل على مدى فتك هذا السلاح والثقة البالغة به.

وروى ثعلب (المتوقِّد) وفسره بأنه هو الذي توقد خوفه من الفزع

---

(١) الفروق اللغوية صـــ :١٥٦.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ١٣٤/٣– تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار– دار العلم للملايين – بيروت–الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـــ – ١٩٨٧ م.

والخوف، ورواه الأعلم (المُتَوَحِّد) أي الذي هو وحده[1]، ورواية ثعلب أولى من الرواية الأخرى؛ لما فيها من استعارة مكنية تجعل صدر الخائف متأججًا كالنار، وهذا أدل على ما يمور به قلب الخائف من مشاعر الفزع، وتأثره البالغ بها.

والواو في قوله: (وسامعتين) للعطف على قوله: (بسلاح..)، والسامعتان هما الأذنان، وقد أخذ زهير هذا المعنى من قول امرئ القيس:

لَهُ أُذُنَانِ تَعْـرِفُ العِتْـقَ فيهِمَـا ∴ كسامعتي مذعورة وسـطَ ربـرب[2]

وقد اختار زهير أن يعبر بالسامعتين، إذ هو في سياق التعبير عن تجهز الخنساء للقتال والنزال، فالتعبير بالسمع أولى في هذا السياق؛ لأن وظيفة الأذن، وهي السمع هو ما تحتاجه الخنساء لتكون على أهبة الاستعداد للقتال.

أما عند امرئ القيس فهو يسوق أوصافًا لفرسه دون حديث عن نزال أو مقاتلة، ومن هذا المنطلق أيضًا آثر زهير أن يقول: (وناظرتين) دون أن يقول: وعينين.

وهذا المعنى أخذه طرفة كذلك من امرئ القيس، فقال:

مُؤَلَّتانِ تَعْـرِفُ العِتـقَ فِيهِمـا ∴ كسـامعتيْ شـاة بحوْمـل مفـرد

وقد اختار أن يقول:(مُؤَلَّتانِ)، والأذن المؤللة كما يقول ابن منظور:" أي محددة منصوبة ملطفة، وإنه لمؤلل الوجه أي حسنه "[3] .

وهذه الدلالات عند طرفة مراعاة لما يتوارد في السياق من مظاهر الحسن لدى البقرة، وراجع في ذلك قوله قبل هذا البيت:

---

(١) شرح ثعلب صـ ١٦٣، وشرح الأعلم صـ :١٨٠.

(٢) ديوانه صـ: ٧٦- تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت- الطبعة الثانية١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

(٣) اللسان مادة (ألل)٢٣/١١.

طَحُورانِ عُوّارَ القــذى فتراهُمــا ∴ كمكحـــولَتي مـــذعورة أُمِّ فرقـــد

وخدٌّ كقرطاس الشــآمي ومشْــفَرٌ ∴ كسَبْتِ اليمــاني قــدُّه لــم يجــرَّد(١)

ويدل على ما ورد من مظاهر الحسن في السياق ما يذكره شارح ديوان طرفة، وهو الأعلم الشنتمري في توضيح بعض التراكيب والصور في البيتين، فيقول: " يريد أن عينيها صحيحتان، ولم يصبهما عوار، وقوله: (كمكحولَتي مذعورة)، يريد كعيني بقرة وحشية مذعورة، وإذا كانت مذعورة كان أحد لنظرها، وأبين لحسن عينيها، وقوله: (وخد كقرطاس الشآمي) شبه بياض خدها ببياض القرطاس، أراد عتيق لا شعر فيه، و(السبت) جلود البقرة المدبوغة بالقرظ، يريد أن مشافرها طوال كأنها نعال السبت، وذلك مما تمدح به، وخص السبت للينه، وإنما خص اليماني لأنهم ملوك ونعالهم أحسن النعال، ودباغ اليمن أفضل دباغ" (٢)

وقد آثر زهير لفظ المعرفة في قوله: (تعرف العتق فيهما) دون العلم لأن " لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ العلم لا يفيد ذلك إلا بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم"،(٣) فالتمييز بين العتق وغيره يقتضي أن يختار له في هذا الموضع لفظ المعرفة.

والعتق هو الكرم والنجابة(٤)، وقوله: (له أذنان تعرف العتق فيهما) كناية عن انتصاب الأذنين، والكناية دالة على وصولها لأعلى الدرجات في هذا الوصف وتحقيق وظيفة الأذنين، ولعله لأجل ذلك التزم الشعراء الثلاثة (امرؤ

---

(١) شرح الأعلم الشنتمري لديوان طرفة بن العبد صـــ:٣٧-٣٨، تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال- المؤسسة العربية- بيروت- الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٣) الفروق اللغوية صـــ: ٨٠

(٤) اللسان مادة (عتق) ٢٣٤/١٠.

القيس- زهير- طرفة) هذه الكناية بلا تغيير.

وقوله: (جذر) يقصد به أصل القرن على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، والاستعارة دالة على صلابة القرن وقوة ثباته، ومدلوك: أي أملس، الكعب: ما بين العقدتين في القرن والقناة، ومحدد: أي مسنن الرأس(١)، وقد اختار البناء للمفعول في قوله: (مدلوك)، و(محدد) لتسليط الضوء أكثر على الوصفين، وتوفير العناية عليهما، وذلك يدل على الوصول إلى درجة بالغة في الوصفين، وهذا يظهر امتلاك البقرة لقدرة قوية على مجابهة المخاطر.

وقوله: (تطحران قذاهما) كناية عن نشاط البقرة، فهي تقذف بالقذى على النحو البعيد الذي يدل عليه الفعل(تطحر)، إذ هو الرمي بعيدًا كما جاء عند شراح الديوان(٢)، والإسناد في الجملة السابقة هو من إسناد الفعل إلى آلته على سبيل المجاز العقلي، لأن فاعل الفعل الحقيقي هو الخنساء نفسها، أما الناظرتان فهما آلتان للفعل، والإسناد دال كذلك على موفور نشاط الخنساء.

ويلاحظ هذا التوازن النغمي غير المتكلف في صدري البيتين:

وسامِعَتَينِ تَعرِفُ العِتْـقَ فيهِمَـا ∴ إلى جَـذرِ مَـدلوكِ الكُعـوبِ مُحَـدَّدِ

ونـاظرتينِ تطحـرانِ قـذاهما ∴ كأنّهُمـا مَكْحُولَتـانِ إثْمِـدِ

إذ يبدأ كل بيت بمعطوف مثنى من حواس الإدراك (سامعتين) (ناظرتين)، ثم فعلًا مضارعًا (تعرف) (تطحران) ثم مفعولًا به (العتق) (قذاهما)، وهذا التوازن النغمي يجعل المعنى يسرع إلى القلب إسراع اللفظ إلى السمع.

وتدل الصورة التشبيهية في قوله: (كأنهما مكحولتان....) على حسن العينين وجمالهما.

---

(١) شرح ثعلب صـ: ١٦٤.

(٢) نفس المرجع السابق، وشرح الأعلم صـ :١٨٢.

وقوله: طباها: أي صرفها[1]، وآثر هذا الفعل لما فيه من دلالة فوق الدلالة على الصرف والإبعاد على المخادعة، وقد بين ذلك ابن فارس في إحدى استعمالات الكلمة يقول: " اطَّبى بَنُو فُلانٍ فلاناً إذا خالُّوه وقَتلوه"[2].

وقوله: (طباها ضحاء....) مقطوع عما قبله لاستئناف وصف من أوصافها، وحال جديد من أحوال الخنساء في رحلتها مع وليدها .

ويمكن أن الداعي للفصل شبه كمال الاتصال؛ لأن قوله: (غدت بسلاح....) وما عطف على قوله: (بسلاح) في البيتين اللاحقين، والذي يصور مظاهرًا لقوة الخنساء يقتضي سؤالًا مؤداه: ما مصيرها في رحلتها هي وولدها ومعها هذا السلاح وما تملكه من قوة واستعداد للدفاع عن نفسها وولدها ضد ما تجابهه من مخاطر وأهوال؟

و(أو) في قوله: (ضحاء أو خلاء) بمعنى الواو، وآثر التعبير بـــ(أو) للإشعار بأن أحد الأمرين كاف في انصرافها إلى المرعى، فكيف إذا كان الأمران معا؟! وهذا يدل على قوة الداعي إلى انصرافها لمرعاها وتركها لولدها وحيدًا.

واختار (ضحاء) لأن الجوع يشتد في هذا الوقت، إذ هو الوقت الذي اعتادته للطعام، يقول ثعلب:" الضحاء للإبل مثل الغداء للناس"[3].

والفاء في قوله: (فخالفت إليه السباع) فصيحة، فهي تفصح عن جملة محذوفة سبب لهذه الجملة، وتقديرها:(خالفت البقرة إلى الخلاء فخالفت إلى وليدها السباع)، والحذف يجعل الحدثين كأنهما حدث واحد، فأحدهما متسبب

---

(١) لسان العرب مادة: (طبي)٣/١٥

(٢) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٣/٣٤٦- تحقيق: عبد السلام محمد هارون – دار الفكر ١٣٩٩هـــ – ١٩٧٩م.

(٣) شرح ثعلب صـــ: ١٦٤.

عن الآخر، والآخر مترتب عليه من غير مهلة.

ويدل ذلك على أن السباع كانت مراقبة لها مستعدة للانقضاض على ولدها متحينة للفرصة، ولذا كانت على هذا النحو من السرعة التي صورتها الفاء الفصيحة.

وقد اختار (السباع) دون الذئاب مثلًا، وجاء بها جمعًا للدلالة على فرط قوة العدو، ومع ذلك يخشى بأس البقرة، ويتحين فرصة بعدها عن وليدها.

و(كناس) هو ما يستتر فيه[1]، والتقييد بالحال (في كناس ومرقد) يدل على متابعة السباع للبقرة ووليدها، فهو على الرغم من استتاره في مأواه ومرقده بعيدًا عن العيون قد انطلقت إليه السباع على هذا النحو المتسارع عندما بعدت عنه أمه، مما يدل على أنهما كانا تحت مراقبة السباع ومتابعتها.

ويلاحظ أنه لم يقتصر على (كناس) بل عطف عليها (مرقد) من عطف الخاص على العام للدلالة على الاطمئنان البالغ للوليد قبل الانقضاض عليه، فهو في موضع الرقاد والراحة.

وقوله: (أضاعت...) هو بمثابة عطف البيان أو التوكيد لقوله: (طباها ضخاء...) فيكون الفصل لأجل كمال الاتصال.

وحذف المفعول من الفعل(أضاعت) للاختصار، وكذلك فيه إشارة إلى حال النفس، وأنها لا تتحمل إيقاع هذا الفعل على ولد البقرة، فهو يوجع القلب؛ ولذا تحاشت النطق به.

وفي قوله: (فلم تغفر لها غفلاتها) روى الأعلم (خلواتها) مكان غفلاتها[2]، التي هي رواية ثعلب، ورواية (غفلاتها) وإن كانت في الظاهر أكثر مناسبة لقوله: (فلم تغفر)، إلا أن رواية (خلواتها) هي الأولى لما فيها

---

(١) لسان العرب مادة : (كنس)١٩٧/٦.

(٢) شرح الأعلم صـــ :٩٢.

من استعارة مكنية تجعل الخلوات التي فيها راحة بال وخلو من الشواغل والمنغصات كالذنوب التي يعاقب مرتكبها، ويطلب الغفران على إتيانها.

وقد آثر فعل الغفران دون فعل العفو، وذلك لأن" الغفران يَقْتَضِي إِسْقَاط الْعقَاب، وَإِسْقَاط الْعقَاب هُوَ إِيجَاب الثَّوَاب .... وَالْعَفو يَقْتَضِي إِسْقَاط اللوم والذم، وَلَا يَقْتَضِي إِيجَاب الثَّوَاب، وَلِهَذَا يسْتَعْمل فِي العَبْد فَيُقَال: عَفا زيد عَن عَمْرو، وَإِذا عَفا عَنهُ لم يجب عَلَيْهِ إثابته"(١)، فدلالة الغفران على إيجاب الثواب أنسب بحياة الأنس والسعادة والهناء التي تحياها في حال ما لو قدر وسلم الولد.

واستخدم صيغة الجمع في (خلواتها) دون صيغة الإفراد المطابقة للواقع، ليدل على أن الموضع تتوفر فيه مقومات الكثير من الخلوات من الفراغ والطمأنينة والأمان، وليس خلوة واحدة، وهذا أكثر دلالة على الخلو التام والكامل من المحاذير التي ترهب، وأنها ما تحركت بعيدًا عن ولدها إلا لشعورها الوثيق بخلو الموضع من المخاطر خلوًا مطبقاً.

وأما الفاء في قوله: (فلاقت...) فهي فصيحة، فالأصل بحثت فلاقت، وإنما حذف هذا الفعل للإشعار بأن البحث كان سريعًا سرعة بالغة، وأن نتيجة البحث كانت سريعة كذلك، وهذا دال على لهفة الأم على وليدها، وظهور أثر هذه الحادثة ظهورًا بينًا.

والتقييد بجملة الحال: (عند آخر معهد) دال على أن السباع لم تلق مقاومة من هذا الصغير، فالقتل حدث في نفس المكان الذي تركته أمه فيه، فلم يقدر على الهرب أو المقاومة.

---

(١) الفروق اللغوية صـــ: ٢٣٥.

ولذا كان اختياره لكلمة (آخر) أولى من كلمة (أول) في قول النابغة الجعدي، والذي ذكر ابن قتيبة[1] أنه أخذه من زهير، وهو قوله يصف كذلك بقرة مسبوعة:

ولاقَتْ بَيَانــاً عِنْــدَ أَوَّلِ مَعْهَــد ∴ إِهاباً ومَعْبُوطاً من الجَــوْفِ أَحْمَــرَا

والتعبير بقوله: (معهد) دون أن يقول: موضع أو نحوه دال على صغر ولدها، وأنه يحتاج إلى من يعتمد عليه، ويتابعه ويحرسه من آن إلى آن، وهذا يجعل أثر الفاجعة على الأم أشد وأنكى لجراح فؤادها.

و (دمًا) في قوله: (دمًا عند شلو) هو عطف بيان لقوله فيما سبق: (بيانًا).

ويلاحظ أن المفردات المعبرة عن بقايا الصغير جاءت جميعها منكرة، وهي (دمًا) (شلوًا: وهي العضو) (بضع : وهي جمع بضعة وهي القطعة من اللحم)، (لحام: جمع لحم) (إهاب: جلد(مقدد: مشقق)[2] وذلك للدلالة على التقليل وضآلة الحجم، وأنها صارت مجهولة منكرة.

وهذا يعكس هول المجزرة التي تعرض لها الصغير، وأن جسده تعرض لبالغ التمزق والتقطع، وزاد هذا المعنى اختياره لصيغة الجمع في (بضع) و(لحام).

والتعبير عن بقايا الصغير عند زهير جاء أكثر شناعة عما جاء عند النابغة الجعدي، ويمكن الوقوف على ذلك إلى جانب ما سبق من بعض اللمحات التالية حول التعبير عن بقايا الصغير عند زهير.

وراجع في ذلك اختياره لـــ (عند) في قوله: (عند شلو) دون لدى، وذلك

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ١٤٦- دار الحديث القاهرة ١٤٢٣هـــ ، ومعبوطًا: مشقوقًا لسان العرب مادة : (عبط)٧/٣٤٧.

(٢) شرح ثعلب صـــ: ١٦٥.

لأن(لدى) لما يليك كما ذكر أبو هلال[1]، فاختياره للفظ (عند) أنسب بالدلالة على هول المجزرة، والنهش الذي تعرض له الصغير، وأن الدماء لم تكن تلي هذا العضو وتقطر منه، بل هي في موضع آخر .

وهذا يجعلنا نتخيل صورة هذا الصغير وهو تفترسه السباع، ويذهب كل واحد منها بجزء منه، فتقطر الدماء في أرض المجزرة.

وفي قوله: (تحجل الطير حوله)، الفعل (تحجل) من الحجل وهو القيد أي أنها تمشي مشية المقيد، وهي أن يرفع رجلاً، ويقفز على الأخرى[2]، وهذا التعبير كناية عن امتلاء بطون الطير بما طعمته من جسد الصغير، حتى إنها لا تقدر على الطيران، فتلجأ إلى القفز كما يمشي المقيد.

وقد آثر التعبير بلفظ المضارع في قوله: (تحجلُ الطيرُ حولهُ) مع أن الفعل حدث وانتهى، وذلك بغرض الاستحضار لهذه الصورة المؤلمة الموجعة استشناعًا واستفظاعًا لها، كما أن هذه الصورة غريبة نادرة، فهي تستحق الاستحضار والتشخيص لها عن طريق صيغة المضارع.

أما النابغة الجعدي فقد عبر عن بقايا الصغير بقوله: (إِهاباً ومَعْبُوطاً من الجَوْفِ أَحْمَرَا) وهو دون تعبير زهير، فلم يقيد (إهاب) بما يضاهي ما قيده به زهير وهو قوله: (مقددًا)، الدال على التمزق لا سيما مع البناء على صيغة التضعيف الدالة على تكرر الحدث.

أما قوله: (معبوطًا) فليس يصل إلى بقية تعبيرات زهير، إذ قوله: (معبوطًا) أي مشقوقًا صحيحًا[3].

ويلاحظ مراعاة النظير بين مفردات البيت: (دمًا، شلوًا، بضع لحام،

---

(١) الفروق اللغوية صـــ: ٢٩٨.

(٢) شرح الأعلم صـــ : ١٨٣.

(٣) اللسان مادة (عبط)٣٤٧/٧.

إهاب، مقدد) وكلها من معجم القتل، وهذا يضفى على البيت جوًا من الحزن والأسى، وقسوة العدوان.

والواو استئنافية في قوله: (وتنفض عنها غيب كل خميلة) فقد انتقل إلى صورة جديدة من معاناة الخنساء، فبعد أن عاينت جثمان صغيرها تستشعر المخاطر تلم بها، وتتخطفها أهوال تحيط بها.

والفعل (تنفض) معناه الحقيقي هو أن تأخذ بيدك شيئًا فتنفضه تزعزعه وتنفض التراب عنه(١)، وقد استعاره زهير هنا لإجالة البصر وتدقيق النظر لاستكشاف المكاره والابتعاد عنها على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية، والاستعارة دالة على المحاولات البالغة في الفحص والتدقيق والابتعاد عن كل ما يلمح فيه مكمن للخطر ومأوى للإيذاء.

وقد قدم الجار ومجروره (عنها) العائد إلى الخنساء في الجملة السابقة على المفعول؛ لأنها هي الأهم، فهي محور السياق في هذا الجزء من النص.

وأيضًا كان يمكنه أن يحذف الجار والمجرور، ويكتفي بأن يقول: (وتنفض غيب كل خميلة)، ولكنه لأجل أيضا أن البقرة هي محور النص في هذا الجزء من النص يذكر الجار والمجرور، بالإضافة إلى الرغبة في الاهتمام بما تدل عليه (عن) من المجاوزة، فهي تظهر البعد عن مكامن المخاطر، التي تحذر منها وتروم النأي عنها.

والخميلة: هي الشجر الكثير المجتمع الملتف الذي لا يرى فيه الشيء إذا وقع في وسطه(٢)، واختياره لهذه الكلمة يدل على عظم مشاعر الرعب التي تنتابها، إذ تكتنف النفس هواجس شديدة من أن تشتمل هذه المخابئ على عدو مستتر يقضي عليها، ويفتك بروحها، ما دامت على هذا النحو من الكثرة

---

(١) السابق مادة (نفض)٧/٢٤٠.

(٢) لسان العرب مادة : (خمل)١١/٢٢١.

والالتفاف.

وقد عطف جملة (وتخشى رماة ...) على قوله: (وتَنفُضُ عَنها غَيبَ) للتوسط بين الكمالين مع عدم المانع، إذ الأولى خبرية لفظا ومعنى، والثانية كذلك، وقد أفاد الوصل تناميًا في المعنى، فهي تخشى الرماة من قبيلة غوث المعروفة بالرمي والاصطياد(١)، كما كانت تجيل النظر فيما تمر عليه من خمائل خشية مما يهددها.

وقد آثر الخشية دون الخوف وذلك حتى يدل على شدة الخطر وعنفوانه، ويدفع ما قد يعتقد أن الشعور بالخطر ناتج من ضعف البقرة، يقول أبو البقاء الكفومي:" الخشية: أَشد من الْخَوْف، لِأَنَّهَا مَأْخُوذَة من قَوْلهم: شَجَرَة خاشية: أَي يابسة، وَهُوَ فَوَات بِالْكُلِّيَّةِ، وَالْخَوْف: النَّقْص، من نَاقَة خوفاء: أَي بهَا دَاء، وَلَيْسَ بِفَوَات، وَلذَلِك خصت الخشية بِاللَّه فِي قَوْله: {ويخشون رَبهم}(٢) والخشية تكون من عظم المخشي، وَإِن كَانَ الخاشي قَوِيًا، وَالْخَوْف يكون من ضعف الْخَائِف، وَإِن كَانَ الْمخوف أمرًا يَسِيرًا"(٣).

وهذا بالإضافة إلى ما ذكره أبو هلال من فارق، وهو أن الخشية تتعلق بمنزل المكروه، أما الخوف فيتعلق بالشيء المكروه نفسه"(٤)، فههنا الحديث عن رماة الغوث الذين يمكن أن يكونوا هم المرتكبون للقتل المباشرون له؛ ولذا عبر بالخشية، وليس الحديث عن أشياء مكروهة تكون سببًا في قتلهم، أو لها علاقة بمنزل المكروه، ولو كان كذلك لعبر بالخوف.

---

(١) شرح الأعلم صـــ:١٨٢.

(٢) الرعد : ٢١.

(٣) الكليات لأبي البقاء الكفومي صـــ: ٤٢٨- تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري- مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٤) الفروق اللغوية صـــ:٢٤١.

ويروي ثعلب[1] قبل قوله:

فجالــتْ علــى وحشــيها وكأنهــا ∴ مســربلةٌ فــي رازقــيٍّ معضــدِ

قوله:

وتَنفُضُ عَنها غَيــبَ كُــلّ خَميلَــة ∴ وتخشى رماة الغوثِ من كلِّ مرصــد

وقوله: (جالت) أي ذهبت وجاءت، و(وحشيها) جانبها الذي لا يركب وهو الأيمن[2]، والفاء في قوله: (فجالت) للترتيب مع التعقيب.

ويروى الأعلم عكس ما رواه ثعلب[3]، وما اختاره الأعلم هو الأولى لتناسبه مع تسلسل النص، وما تحققه هذه الرواية من غايات تناسب مبتغى زهير.

أما جهة تناسب رواية الأعلم مع تسلسل النص، هي أن دلالة الفاء على الترتيب والتعقيب تدل على أن البقرة بعد أن دققت النظر فيما حولها من خمائل، وانتابتها الخشية من رماة الغوث أخذت مباشرة تروح وتجيء هلعًا مما استشعرته من أخطار تحدق بها، وهو ترتيب لائق مناسب.

ورواية ثعلب تؤدي إلى أن يكون المعنى أن البقرة بعد أن شاهدت جثمان ولدها بادرت على هذا النحو العجل – الذي تصوره الفاء الدالة على السرعة – إلى أن تروح وتجيء، ثم يعرض بعد ذلك لإدارتها النظر في مظان الخطر، وهذا غير لائق، إذ أن هذه الكارثة التي حلت بها واجتثت فلذة كبدها وجعلتها تروح وتجيء من شأنه أن يذهلها عن كل خطر، مهما كان، ومهما كانت عواقبه، فكيف تدقق بعد ذلك النظر فيما حولها من مظان الخطر؟.

---

(١) الفروق اللغوية صـــ:٢٤١.

(٢) شرح ثعلب صـــ:١٦٥.

(٣) شرح الأعلم صـــ:١٨٣.

ودلالة الفاء على التعقيب بناء على رواية الأعلم دال على قرب الخطر، وأنها توجست رعبًا يكاد يفتك بها؛ ولذلك كانت هذه الحركات منها على هذا النحو من العجلة الذي تصوره الفاء.

وقوله: (على وحشيها) أي على جهة وحشيها، فهو على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وهو أنسب بالدلالة على السرعة في الذهاب والمجيء.

و(مسربلة) أي لابسة سربالًا، وهو القميص، (ورزاقي) أي ثوب أبيض، (معضد) أي مخطط [1]، والواو في قوله: (وكأنها مسربلةٌ في رازقيٍّ معضد) للحال، والمعنى أن البقرة جالت على وحشيها، والحال أنه تبدو قوائمها البيضاء ذات الخطوط السود، وهو ما يبينه التشبيه، الذي يشبه فيه بياضها الذي يختلط بالسواد بالكتان المخطط.

ولعل فائدة الصورة التشبيهية هي الإشعار بالصورة البهية والجميلة وهي تعدو وتتحرك، وهذا يجعلها هدفًا معتبرًا ومثيرًا لدى الراغبين في الاصطياد، وهو ما يتلاقى مع تعرضها للهجوم الدامي، الذي عبر عنه ما جاء بعد الصورة التشبيهية، وهو قوله : (ولم تدر وشك البين....).

واختياره لصيغة الاسم في قوله: (مسربلة) محقق للغاية من الصورة التشبيهية، ولا تكون هذه الغاية مع المضارع المفيد للتجدد الاستمراري مثلًا، فدلالة الاسم على الثبوت والدوام دال على أن هذه الهيئة للبقرة من اختلاط السواد والبياض ثابتة دائمة فيها، بخلاف صيغة المضارع الدال على التجدد الاستمراري، وهذا مما لا يصح إطلاقا فيه التجدد.

وقد عطف جملة (ولم تدرِ وشكَ البينِ ...) على قوله: (وتخشى رماة) للتوسط بين الكمالين مع عدم المانع، إذ الأولى خبرية لفظا ومعنى، والثانية

---

(١) شرح ثعلب صـــ: ١٦٥، وشرح الأعلم صـــ : ١٨٤.

كذلك، وقد أفاد الوصل تناميًا في المعنى، فهو ارتقاء في المعاناة التي ألمت بها، وازدياد في الأزمة التي تلفها.

واستخدامه للدراية دون العلم، وذلك لأن الدراية كما يقول أبو البقاء الكفومي:" المعرفة الحاصلة بعد تردد مقدمات"(١)، وهذا يناسب السياق الذي يبين الأدلة الشاخصة على مصرع وليد الخنساء على هذا النحو الشنيع.

وعندئذ يكون استخدامه للدارية فيه دلالة على أن هذه الأدلة الشاخصة لم تجعلها تدري سريعًا فراقه لها، ولم تستوعب عاجلًا قتله، مما يدل على أن الحادثة زلزلت كيانها، وأفقدتها شيئًا من الوعي والإدراك.

و(أل) في (البين) للعهد الذهني(٢)، فالبين المقصود معهود ذهنًا كما يدل السياق، وهو بين الخنساء عن وليدها.

و(حتى) للغاية والانتهاء في قوله: (حتى رأتهم وقد قعدوا....)، وآثرها دون (إلى) التي تفيد هذا المعنى كذلك؛ وذلك لأن (إلى) تفيد مطلق انتهاء الغاية، أما (حتى) فلا تدل إلا على آخر الغاية ونهايتها، أو ما كان متصلًا بالآخر(٣).

وهذا يدل على أنها لم تدرك سرعة مفارقة وليدها إلا نهاية لحظات اكتمال الحصار لها، والذي عبر عنه مدخول (حتى) وهو قوله: (رأتهمُ وقَدْ

---

(١) الكليات صـــ:٦٧.

(٢) المعرف بلام العهد الذهني يدل على نفس الحقيقة في ذاته، ولا يدل على الواحد المبهم إلا بوساطة القرينة –ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي ٨٨/١– مكتبة الآداب – الطبعة السابعة عشرة ١٤٢٦هـــ– ٢٠٠٥م.

(٣) شرح الكافية الشافية لابن مالك – ٧٩٩/٢– تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي – جامعة أم القرى– مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي– كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة– الطبعة الأولى١٤٠٢ هـــ – ١٩٨٢ م.

قَعَدُوا أنْفاقَها كُلَّ مَقعَدِ) وهذا دال أيضًا على أن الحادثة زلزلت كيانها وأفقدتها الإحساس بالكارثة التي حلت بها.

وقوله: (وقَدْ قَــعَدُوا أنْفاقَها كُلَّ مَقَدِ) كناية عن حصار الرماة والصيادين لها، والتعبير الكنائي دال على استحكام الحصار وشدته، وسد كل منفذ للنجاة والهرب.

وراجع في بناء الصورة الكنائية اختياره للقعود دون الجلوس؛ وذلك لأن" القعود لما فيه لبث بخلاف الجلوس؛ ولهذا يقال: قواعد البيت، ولا يقال: جوالسه ويقال: أيضا فلان جليس الملك، ولا يقال: قعيده"(١)، فاختياره للقعود دال على الاستعداد البالغ، والتجهز المحكم للظفر بالغنيمة الثمينة.

والأنفاق هي جمع نفق، والنفق سرب في الأرض مشتق إلى موضع آخر(٢)، وقد استعارها للطرق والمناهج التي تسلكها البقرة للهرب على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، وهي تدل على تحكم الصيادين في مسالك الهرب، حتى البعيدة عن الأنظار المختفية عن المراقبة والترصد.

وكان الأصل أن يعدى الفعل (قعدوا) بـــ (في)، فيقال: وقد قعدوا في أنفاقها، ولكنه عداه بنفسه؛ وذلك للإشعار بأنهم قد ترصدوا لها في كافة أجزاء طرق الهرب ومسالك النجاة، فلم يتركوا موضعًا منها بدون ترصد، ولا تكون هذه الدلالة مع (في) الجارة.

وكلمة (مقعد) التي استخدمها الشاعر دون كلمة (مرصد) والتي استخدمها الذكر الحكيم في قوله تعالى:﴿ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾(٣) وذلك لما فيها من دلالة زائدة على مجرد القعود، والمدلول عليه

---

(١) الكليات صـــ: ٧٢٨.

(٢) اللسان مادة (نفق)١٠/٣٥٧.

(٣) التوبة: ٥

سلفًا سواء في الآية عن طريق فعل الأمر(واقعدوا) أم في البيت عن طريق الفعل الماضي (وقد قعدوا).

وهذه الدلالة الزائدة هي إبراز الغاية من القعود وهي الترصد والترقب، فما في الآية هو من قبيل تأسيس معنى جديد، وهو أولى من اعتبار التأكيد الذي هو مؤدى ما في البيت، يقول السيد الشريف الجرجاني: " التأسيس خيرٌ من التأكيد؛ لأن حمل الكلام على الإفادة خير من حمله على الإعادة" (١).

بالإضافة إلى أن صنيع الشاعر يمكن أن يفهم منه أن القعود حاصل، ولكن يغيب عنه الترصد الذي هو الهدف المبتغى من القعود؛ فلعله مما دعا إلى استخدام الذكر الحكيم لـــ{ مرصد}.

وقد عطف جملة (وثاروا بها ...) على قوله: (وقد قعدوا أنفاقها....) للتوسط بين الكمالين مع عدم المانع، إذ الأولى خبرية لفظا ومعنى، والثانية كذلك، وقد أفاد الوصل تناميًا في حصار الخطر للخنساء؛ وذلك لأن المعطوف عليه هو مجرد إفادة لسيطرة الصيادين على الطرق ومنافذ الهرب، وأما المعطوف فهو أشد؛ إذ فيه دلالة على قرب الخطر منها اقترابًا شديدًا، وإحاطته بها من جانبيها كما سيبين في التحليل لدلالات المعطوف.

والباء في (ثاروا بها) للإلصاق فهي دالة على قرب الخطر، وكان يمكن أن يتعدى الفعل بـــ (على) فيقول: ثاروا عليها، ولكن (على) دالة على الاستعلاء، مما يؤذن باستعلاء الخطر وتفوقه عليها، وهذا لا ينسجم إطلاقًا مع مقصوده.

وكذلك تقييد الفعل بالجار والمجرور (من جانبيها) دال على قرب الخطر، والحصار الكامل، وأن مجال الهرب من الخطر ضئيل، وتوكيد

---

(١) التعريفات للسيد الشريف الجرجاني صـــ: ٧١- تحقيق: إبراهيم الإبياري- دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى١٤٠٥ هـــ.

الجار والمجرور بقوله: (كليهما) يضاعف من هذه الدلالات، والشعور بها.

والواو في قوله: (جالت) هي واو الحال، وهو الأولى من كونها عاطفة، لأن مدلول التركيب مع اعتبار كونها واو الحال، هو أن الصيادين ثاروا بها من جانبيها، وحالها عندئذ أنها تأخذ في الطواف والدواران هربًا منهم، فلم تستسلم لهم إطلاقًا في أي لحظة من لحظات هجومهم عليها، وهذا المعنى لا يتحقق مع اعتبار كونها عاطفة.

وقوله: (وَإِنْ يُجشِمْنها الشدّ تجهدِ) والتجشم التكلف على مشقة وإكراه[١]، وقد عُطف على قوله: (وثاروا بها...) لدخوله فيه واندراجه معه في الحكم.

واستخدمه [إن] الشرطية دون[إذا] وذلك لأنها تستعمل في الأمر المتوهم وقوعه المشكوك فيه بخلاف [إذا] فهي تكون في الأمر المحقق وقوعه في المستقبل[٢]، فهي تفيد أن تكلف وحمل البقرة على الشد أمر نادر غير مقطوع به، بل هي دأبها النشاط بلا تكلف أو عناء.

وقوله: (تجهد) من الجهد وهو الطاقة[٣]، واختياره لهذا الفعل ليكون جواب الشرط، وذلك حتى يدل على أنه على الرغم من إكراهها على الجري والمشقة فإن لديها من الطاقة والجهد ما تبذله لكي تتغلب على صياديها.

ومن الملاحظ أنه آثر صيغة الاسمية في كلمة (السوابق) في قوله: (وَإِنْ يَتَقَدّمْها السّوابقُ تَصطَدِ) مع أنه عبر بصيغة الفعل في المعنى المقابل الذي يشتمل عليه الشطر الأول وهو قوله: (تبذُّ الألَي يأتينها من ورائها)، وذلك لأنه يتناول في هذا المعنى التفوق عليها في الشد والجري، فالمناسب أن يكون من يتفوق عليها- إن وقع كما هو دلالة الشرط على الندرة- دأبه

---

(١)اللسان مادة (جشم)١٢/١٠٠.

(٢) ينظر في ذلك المفتاح صـــ: ٢٤٠-٢٤٦، والإيضاح صـــ:٥٤-٥٧.

(٣) اللسان مادة (جهد) ١٣٣/٣.

التفوق وعادته السبق، وهو ما تدل عليه صيغة الاسم الدالة على الثبوت والدوام.

وقوله: (تبذُّ الألَى يأتينها...) هو بمثابة جواب عن سؤال يقتضيه قوله: (وثاروا بها....) وهذا السؤال مؤداه: وماذا جرى مع كلاب الصيد التي ثارت عليها، وأحاطت بها تريد أن تصرعها؟ ولذا فصل لأجل شبه كمال الاتصال.

ويجوز كذلك أن تكون هذه الجملة حالًا من الضمير في قوله: (جالت)، أي وجالت والحال أنها تبذ الألي يأتين من ورائها.

كذلك استخدم [إن] الشرطية دون[إذا] وذلك لأنها تفيد أن تقدم السوابق عليها أمر مشكوك فيه نادر الحدوث، هذا على الرغم من التفوق الدائم والمستمر للسوابق في السبق والعدو المعبر عنه بصيغة الاسمية على نحو ما مر ذكره.

وفي قوله: (غمرة الموت) أصل الغمر إزالة أثر الشيء، ومنه قيل للماء الكثير الذي يزيل أثر سيله: غمر وغامر(١).

وشاعت استعارتها للشدة تشبيهًا بالشدة الحاصلة للغريق حين يغمره الوادي أو السيل، حتى صارت الغمرة حقيقة عرفية في الشدة الشديدة.(٢)

والفعل: (تَصْطَدِ) روي بالبناء للفاعل، وروي بالبناء للمفعول(٣)، والأول هو الأنسب من جهة أنه يركز الحدث على البقرة، وهذا مناسب للسياق الذي

---

(١)المفردات في غريب القرآن للراغب صـــ:٦١٤.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٧/ ٣٧٧- الدار التونسية للنشر - تونس١٩٨٤ هـــ، وينظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي للشهاب الخفاجي٩٦/٤ - دار صادر - بيروت، والحقيقة العرفية اللغوية هي اللفظ المستعمل فيما وضع له بعرف الاستعمال اللغوي- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٢٧/١- تحقيق عبد الرزاق عفيفي - المكتب الإسلامي، بيروت.

(٣) شرح ثعلب صـــ: ١٦٦.

يدور حول قوة البقرة وتصديها للخطر، أما البناء للمفعول فيركز الحدث على السوابق التي تصدت لها البقرة وتغلبت عليها.

وفي المقابل من ذلك نراه يختار البناء للمفعول في قوله: (تقصد) لذات الغرض السابق، وهو تركيز الحدث على البقرة مراعاة للسياق.

والفاء في قوله: (فأنقذها...) للاستئناف، وهو استئناف للحديث عن أسباب نجاة البقرة من صياديها.

وقوله: (أنها رأتْ أنها إنْ تنظرِ النبلَ تقصدِ) كناية عن سرعة الهروب والفرار من صياديها، وهي تدل على قوة الدافع إلى الهرب، والنجاة بنفسها، وقد قوى هذا المعنى وأكده بالتوكيد بـــ(أن) والفعل الدال على اليقين (رأت).

واستخدامه لـــ (إن) الشرطية المفيدة للشك في انتظاره أصحاب النبل دال مدى الفزع والخوف من هذا الخطر.

وقوله: (النبل) على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أي إن تنتظر أصحاب النبل أن يجيئوا[١]، والبناء على هذا الحذف أنسب بمشاعر الفزع والهلع والرعب التي تصيبها فتدفعها إلى الهرب والخلاص بنفسها، فهي تخشى النبل فضلًا عن أصحابه.

واختياره للفعل (تقصد) دون تقتل أو نحوها؛ وذلك لأنها أبلغ في الحذر وأدعى للفرار، يقول ابن فارس:" أقصده السهم، إذا أصابه فقتل مكانه، وكأنه قيل: ذلك؛ لأنه لم يحد عنه، ومنه: أقصدته حية، إذا قتلته"[٢]

وقوله: (نجاء مجد ليس فيه وتيرة) هو بمثابة التوكيد لقوله: (فأنقذها من غمرة الموت....) ولذلك فصل لكمال الاتصال.

---

(١) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٢) مقاييس اللغة مادة(قصد)٥/٩٥.

وقوله: (نجاء) أي السرعة في السير[١]، وهو خبر لمبتدأ محذوف، والحذف للقطع والاستئناف؛ للدلالة على تميز هذا الجزء من المعنى، ويؤدي هذا التفسير إلى الإخبار بالمصدر عن اسم الذات، وهذا مجاز عقلي للمبالغة في نجاة الخنساء، فكأنها مجسدة من النجاة، لا تنفك عنه.

ويلاحظ أنه قد قدم (نجاء) على قوله: (مجد) لأنه هو الأهم والأدل على تحقيق الغرض، فقد يكون الجد والاجتهاد بلا تحقيق للسرعة المسببة للوصول إلى النجاة.

وقوله: (وتيرة) أي تلبث وفترة[٢]، والجملة الحالية (ليس فيه وتيرة) تتميم للمبالغة في اجتهادها، فاجتهادها وسرعتها لا تفتر، وزاد هذا المعنى مبالغة تنكير(وتيرة) بعد نفي ودلالته على العموم والشمول، فليس لديها أي فتور.

وقوله: (تذبيبها) عطف على قوله: (أنها رأت إن تنظر....) أي أنه أنقذها من الموت ما رأته أن انتظارها يعرضها للمهالك، وكذلك تذبيبها عن نفسها.

واختياره لصيغة المفاعلة (تذبيبها) ودلالتها على المدافعة والمضاربة أنسب بجو الصراع، وشدة الخطر وبأس العدو.

ويلاحظ أنه قدم الأمر المتعلق بالباطن وجعله معطوفًا عليه (رأت...) على الفعل والحدث المشاهد (تذبيبها)، الذي جعله معطوفاً؛ لأن الباطن هو الذي يدفع إلى تحقق ووقوع الحدث، فهو أهم.

وقوله: (أسحم) يريد به القرن، وهو يطلق على اللون الأسود كذلك[٣]،

---

(١) اللسان مادة(نجو)١٥/٣٠٤.

(٢) السابق مادة(وتر)٥/٢٧٣.

(٣) السابق مادة(سحم)١٢/٢٨١.

واختياره للتعبير بالأسحم دون القرن؛ وذلك لأن اللون الأسود من شأنه أن يصيب بالفزع والخوف، فهو أنسب بالدلالة على كفح العدو، وارتجاف فؤاده، مع دلالته على القرن كذلك كما هو استعمالات العرب .

وترك العطف بالواو بين قوله: (نجاء) وقوله: (مجد) لإفادة أن الوصفين يلتبسان معًا، فهي سريعة مجتهدة في آن واحد، يقول الدكتور أبو موسى:" تقول: هو قائم قاعد فتوهم أن الوصفين يلتبسان معًا، وكأنه يقوم في حال القعود، فإذا قلت: هو قائم قاعد لم يكن ذلك، وإنما كانا على التواتر والتعاقب"(١)، فكأن ترك العطف هنا يرسم صورة الإصرار على السرعة عندما يقع الوصفان (أي السرعة والاجتهاد) معًا في آن واحد.

وقوله: (وجدت فألقت...) هو بمثابة التوكيد للسرعة المدلول عليها بقوله: (نجاء مجد....) ولذا فصل لكمال الاتصال، وانسجامًا مع ذلك يختار العطف بالفاء في قوله: (فألقت بينهن وبينها) للدلالة كذلك على السرعة.

وتقديم ضمير كلاب الصيد على ضمير البقرة في قوله: (فألقت بينهن وبينها) وذلك لأنه الأهم هنا تصوير الكلاب وهو يحجزها الغبار عن مهاجمة البقرة، فهو الدال على نجاح البقرة في تحقيق مرادها من إثارة الغبار.

والصورة التشبيهية في قوله: (كما فارتْ دواخنُ غرقدِ) تصور كثافة الغبار الناتج عن حركة الخنساء الهائلة واجتهادها الشديد.

ويلاحظ أن الصورة التشبيهية واقعة على هيئة الاعتراض بين الفعل (فألقت) ومتعلقه (بملتئمات)، والاعتراض من شأنه أن يولي عناية واهتمامًا بما يحويه التشبيه من دلالات، ويبالغ في الغبار المثار من حركتها، وأنه ليس غبارًا عاديًا.

---

(١) دلالات التراكيب- دراسة بلاغية- د. محمد محمد أبو موسى صـــ: ٢٨٤- مكتبة وهبة- الطبعة الثانية ١٤٠٨هـــ-١٩٨٧م.

ومن العناصر التي تصور الغبار في المشبه به الاستعارة المكنية في قوله: (فارت دواخن) والتي تشبه الدخان بالماء الذي يغلي، والاستعارة دالة على شدة اضطراب الغبار وحركته الهائلة، لاسيما مع صيغة جمع الكثرة (دواخن).

وكذلك اختياره للغرقد لعظم هذه الشجرة(١)، فدخان احتراقها بالتالي يكون أكثر كثافة، وملأً للأجواء.

وقوله: (فألقت) دال على تعمد الإثارة والتهييج للغبار، ليكون ذلك وسيلة من وسائل النجاة التي تقوم بها الخنساء.

وقوله: (بملتئمات) أي بقوائم ملتئمات، فهو صفة حذف موصوفها، لتوفير العناية على الصفة، وهي تلاؤم القوائم، لأن المطلوب هو التلاؤم لا مجرد كونها قوائماً، لأن هذا هو المحقق للغرض، وهو وصفها بالسرعة.

واختياره لكلمة(ملتئمات) دون أن يقول مثلًا متشابهات على النحو الذي فسر به شراح الديوان اللفظة(٢)؛ وذلك لأن التلاؤم هو الذي من شأنه أن يحقق الغرض والمقصد من هذه الأعضاء، بخلاف التشابه أو التماثل أو نحوها .

وقوله (كالخذاريف) جمع خذروف، وهو شيءٌ يُدَوِّرُهُ الصَّبِيُّ بِخَيْطٍ في يَدَيْهِ فيُسْمَعُ له دَوِيٌّ(٣)، فالقصد من التشبيه بيان السرعة البالغة؛ ولعله اختار (الخذاريف) أيضًا لأن مع السرعة يحدث دوي، مما يعكس الجهد الوفير المبذول في ركض الخنساء والإصرار والعزيمة فيه.

واختياره للمشبه به (الخذاريف) يناسب هذا الغبار المهول الذي يصوره التشبيه الآخر(كما فارت دواخن غرقد) لأن سرعة الخذاريف سرعة دائرية

---

(١) لسان العرب مادة(غرقد)٣/٣٢٥.

(٢) شرح ثعلب صـــ:١٦٧، وشرح الأعلم صـــ: ١٨٦.

(٣) اللسان مادة(خذرف) ٩/٦١.

في موضع واحد وفي نطاق غير متسع ، فيكون الغبار أشد ما دامت حركة البقرة وقوائمها على هذا النحو.

وقد شبه كذلك امرؤ القيس فرسه بالخذروف في معلقته:

دَرِيْرٍ كَخُـــذْرُوفِ الوَلِيْـــدِ أمَـــرَّهُ ∴ تَتَـــابُعُ كَفَّيْـــهِ بِخَـــيْطٍ مُوَصَّـــلِ[1]

ويلاحظ أن امرأ القيس كان اهتمامه بالسرعة أكثر؛ ولذا تلاحقت القيود في المشبه به لتؤذن بالسرعة البالغة وهي قوله: (أمره....) يقول الزوزني: "هو يدر العدو والجري، ويسرع فيهما إسراع خذروف الصبي، إذا أحكم فتل خيطه، وتتابعت كفاه في فتله وإدارته بخيط قد انقطع ثم وصل، وذلك أشد لدورانه لانملاسه ومرونه على ذلك "[2]

أما زهير فقد دارت القيود للمشبه به حول القوة والصلابة، وراجع في ذلك قوله: (قوبلت إلى جوشن...) فالجوشن هو الصدر، وخاظي: الكثير اللحم المتراكب، والطريقة: اللحمة أعلى الصدر[3]

وهذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف المتحدث عنه عند كل منهما، فامرؤ القيس يصف فرسًا، وهو من أولى خصائصه ومن أساسياته السرعة البالغة.

أما زهير فهو يتحدث عن بقرة تدخل في صراع مع صياديها، وهي مع السرعة التي دل عليها التشبيه بالخذاريف تحتاج إلى القوة والصلابة في صراعها، حتى تستطيع مواجهة عدوها، ولذا أفاد هذه المعاني بالقيود.

وقد عدى الفعل (قوبلت) بـــ(إلى) وكان الأصل أن يتعدى بـــ(مع) وذلك؛ لأنه يقصد إفادة أن تقابل قوائمها بصدرها على جهة الاتصال وانتهاء

---

(١) ديوان امرئ القيس صـــ :٥٧.

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني صـــ : ٣٤-٣٥- دار إحياء التراث العربي – الطبعة الأولى١٤٢٣هـــ – ٢٠٠٢ م.

(٣) شرح الأعلم صـــ: ١٨٦.

قوامها بصدرها، وهذا المعنى لا يكون مع التعدية بـــ(مع).

وقد روى ثعلب وصعوداء[1] بيتًا لم يروه الأعلم ، وهو قوله:

كـــأن دمـــاء المؤســـدات بنحرهـــا ∴ أطبة صرف في قضـــيم مصـــرد[2]

وهو يضيف مظهرًا من مظاهر انتصارها على صائديها بصورة أقوى، وذلك أن محاولة صيدها وقتلها تتحول إلى النقيض، وهو إصابة من يحاوله إصابة دامية، وهذا المعنى ليس موجودًا الإشارة إليه فيما سبق من السياق إلا على نحو مجمل في قوله: (وإن تتقدمها السوابق تصطد)، وهو ليس فيه ما في البيت المذكور من صورة دامية لهزيمة أعدائها.

بالإضافة إلى أن السياق السابق على هذا البيت يرتكز على محاولتها النجاة بنفسها والهرب بحياتها، وما تملكه من قدرات تجعلها تنجح في ذلك، فيكون هذا البيت دليلًا قويًا على نجاح قدراتها في تحقيق النصر والنجاة.

ولذا كان إثبات هذا البيت أولى من إسقاطه، لا سيما مع ما فيه من إيحاءات ودلالات تدعم انتصارها وقوتها.

ولم يعطف قوله: (كأن دماء.....) على ما قبله؛ وذلك للاستئناف، فهو يتناول معنى جديدًا، يبرز انتصارها على أعدائها.

---

(١) صعوداء هو محمد بن هبيرة الأسدي الكوفي أبو سعيد النحوي اللغوي المعروف بصعوداء المتوفى سنة ٢٩٥هـ، وأحد شراح ديوان زهير- ينظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٩١/١٢-الناشر مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت- قصة الأدب في الحجاز لعبد الله عبد الجبار - ومحمد عبد المنعم خفاجى صـ: ٣٨٩، - الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) شرح ثعلب صـ: ١٦٧، وينظر شرح الأعلم صـ:١٨٦ هامش رقم (١)، وديوان زهير شرح على حسن فاعور صـ: ٣٩، هامش رقم (٢٩) - دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

و(المؤسدات) واحدها مؤسد وهو المهيج المغرى بالصيد[١]، وآثر هذه المفردة لما تشعر به من القوة والفتك، فهي مشتقة من مادة(أسد)، وهذا يرفع من قيمة انتصارها، فهو ليس انتصارًا على ضعيف خوار، بل هو على هذا النحو من الفتك والشراسة والضراوة والتملك لمقومات القهر والغلبة والإقدام.

وقد روى صعوداء(كأن دماء الهاديات)[٢] بدلا من المؤسدات، والهاديات هي أوائل الوحش[٣]، وهذه اللفظة وإن كانت تصور السرعة البالغة، إلا أن التشبيه يدور حول الصراع والاقتتال والدماء التي تراق، فالأولى اختيار كلمة (المؤسدات).

هذا إن كان هو الأولى عند زهير، إلا أن اختيار امرئ القيس (هاديات) في وصف فرسه عندما قال:

كـــأنَّ دمـــاءَ الهاديـــاتِ بنحـــره ∴ عُصـــارةُ حِنّـــاءٍ بشَـــيْبٍ مُرَجّـــلِ[٤]

هو الأولى؛ لأن المطلوب بالنسبة للفرس في الصيد هو السرعة والتفوق على الصيد، فالأنسب هو ما يدل على التفوق على أوائل الوحش.

وكذلك اختار حرف الجر الباء في قوله: (بنحرها) الذي هو جزء من المشبه، دون (في) التي اختارها في المشبه به في قوله: (أطبة صرف في قضيم مصرد) وذلك للدلالة على أن البقرة لم تصب، فدماء صياديها ملاصقة لجسدها فقط ، ولم تخترقه كما هو دلالة (في) الظرفية.

وقوله: (بنحرها) دال على شدة الصراع وعنف العراك، وأنه وصل إلى

---

(١) شرح ثعلب صـــ:١٦٧.

(٢) ينظر شرح الأعلم صـــ:١٨٦ هامش رقم (١)، وديوان زهير شرح على حسن فاعور صـــ: ٣٩.

(٣) اللسان مادة (هدي)١٥/٣٥٣

(٤)ديوان امرئ القيس صـــ: ٦٠.

موضع القتل وموطن إزهاق الروح.

وقوله: (أطبة) واحدها: طبابة وهي السير من الجلد، و(الصرف) الصبغ الأحمر، (والقضيم) الجلد الأبيض، و(المصرد) المقطع[1].

وحاصل التشبيه في البيت السابق هو أنه يشبه دماء كلاب الصيد على نحر البقرة بالسير من الجلد الذي تربط به الجروح، وهو مصبوغ دمًا على جلد ممزق.

والتشبيه يدل على الأذى البالغ الذي لحق بكلاب الصيد والهزيمة المنكرة، فقد لحق بها ضد غرضها وعكس ما تستهدفه، فبدلًا من أن تريق دماء فريستها ها هي دماؤها تسيل بهذه الكثرة التي يصورها التشبيه.

وراجع في المشبه به اختياره لصيغة الجمع في (أطبة) واختياره لـــ (في) الظرفية في قوله: (في قضيم)، والتعبير عن الجلد بالقضيم، وتقييده بـــ (المصرد) فكلها اختيارات دالة على كثرة سيلان الدم من كلاب الصيد.

وإذا قارنا بين تشبيه زهير وتشبيه امرئ القيس السابق لوجدنا أن كلًا منهما يناسب سياقه وموضوعه، فالبقرة عند زهير تدخل في صراع مع صياديها، فالأنسب في وصف اقتدارها أن نرى دماء أعدائها تنسال على هذا النحو الذي يصوره المشبه به عنده.

أما الفرس عند امرئ القيس فهو لا يتعرض للتهديد، بل هو يسابق للوصول إلى الفرائس، ولذا آثر أن يقول: (الهاديات) لا المؤسدات كما هو عند زهير.

ومما يتواءم مع هذا التعليل أننا نجد عند زهير في بنية التشبيه دمًا مسالًا من أعداء الخنساء بنحرها، أما عند امرئ القيس فنجد دماء تشبه الحناء على جسد فرسه.

---

(١) شرح ثعلب صـــ: ١٦٧ .

السياق الرابع: مديح هرم بن سنان

إلـــى هـــرم تهجيرهـــا ووســـيجها ∴ تروح مـــن الليـــل التمـــام وتغتـــدي
إلى هرم سارت ثلاثا مـــن اللـــوى ∴ فـــنعم مســـير الواثـــق المتعمـــد
ســـواءٌ عليـــهِ أيَّ حـــينٍ أَتَيْتَـــهُ ∴ أَسَـــاعَةَ نَحْـــسٍ تُتَّقَـــى أَمْ بَأَسْـــعُدِ
ألـــيسَ بِضَـــرَّابِ الكُمَـــاةِ بِسِـــيْفِهِ ∴ وَفَكَّـــاكِ أَغْـــلالِ الأَسِـــيرِ المُقيَّـــدِ
كَلَيْثٍ أبي شِـــبْلَيْنِ يَحْمِـــي عَرِينَـــهُ ∴ إذا هـــو لاقـــى نَجْـــدَةً لـــم يُعَـــرِّدِ
وَمِدرَهُ حَـــربٍ حَمِيُهـــا يُتَّقـــى بِـــهِ ∴ شَـــديدُ الرِجـــامِ بِاللِســـانِ وَباليَـــدِ
وَثِقلٌ عَلى الأَعـــداءِ لا يَضَـــعونَهُ ∴ وَحَمّـــالُ أَثقـــالٍ وَمَـــأوى المُطَـــرَّدِ
أَلَـــيسَ بِفَيّـــاضٍ يَـــداهُ غَمامَـــةٌ ∴ ثِمالِ اليَتـــامى فـــي السِـــنينَ مُحَمَّـــدِ
إذا ابتدرتْ قيسُ بنُ عـــيلانَ غايـــة ∴ منَ المجدِ مَن يَســـبِقْ إليهـــا يُســـوَّدِ
سَبَقْتَ إِلَيهـــا كُـــلّ طَلْـــقٍ مُبَـــرِّزٍ ∴ سَبُوقٍ إلـــى الغايـــاتِ غَيـــرِ مُجَلَّـــدِ
كفِضْلِ جَواد الخَيلِ يَسبُقُ عَفوُهُ الـــ ∴ ـــسراعَ وإن يجهـــدنَ يجهـــدْ ويبعـــدِ
تقـــيٌّ نقـــيٌّ لـــم يكثـــرْ غنيمـــة ∴ بنكهـــةِ ذي قربَـــى ولا بحقلـــدِ
سوى ربعٍ لم يـــأتِ فيهـــا مخانـــة ∴ وَلا رَهَقـــاً مِـــن عائِـــذٍ مُتَهَـــوِّدِ
يطيـــبُ لـــهُ أو افتـــراصٍ بســـيفهِ ∴ على دَهَـــشٍ فـــي عـــارِضٍ مُتَوَقِّـــدِ

وفي هذا السياق ينتقل إلى مديح هرم بن سنان"، ويبين أن هذا العناء والرحلة للوصول إليه، وهو جدير بأن يقصد ويؤم، فهو فارس مقدام خبير بالحروب، وفكاك للأسرى، وحمال للأثقال، وهو سيد قومه، والمقدم في قضاء الغايات.

و(التهجير) السير في الهاجرة، و(الوسيج) ضرب من السير سريع[1]، وقدم التهجير؛ لأنه أصعب وأشد وأقسى، فهو أنسب بالدلالة على عظم الجهد المبذول، مما يبرز عظم المطلب .

وقوله: (إلى هرم تهجيرها....) هو حسن تخلص من وصف الخنساء، وما لاقته في رحلتها من مخاطر وأهوال، ببيان أن اقتحام الأهوال من أجل الوصول إلى الممدوح؛ فما أجله من مطلب ! وما أعظمه من مقصد! يُتَحَمل من أجل بلوغه الأهوال التي تتهدد الروح، وتَفْقِدُ فيه أغلى ما تُحَافِظ عليه، وهو ولدها وقرة عينها.

وتقديم الخبر على المبتدأ في قوله: (إلى هرم.....) لإفادة الحصر، أي ما تهجيرها ووسيجها إلا إلى هرم، وكذلك تقديم الجار والمجرور على العامل في قوله: (إلى هرم سارت...) أي ما سارت ثلاثًا إلا إلى هرم، والاختصاص في الموضعين دال على مدى أهمية ما يمثله الممدوح، وأن الآمال والغايات جميعها محققة من قبل الممدوح.

وقد كثف من دلالات الاختصاص اختياره لإظهار اسم (هرم)، وكان يمكنه الاكتفاء بالضمير الراجع إليه في جملة القصر الثانية، فيقول : إليه سارت، ولكنه أراد أن يضاعف في الاستغاثة واللهفة والتعلق بالممدوح، وأن يزيد في طلب النجدة.

ويلاحظ أنه قد آثر الاسمية في المقصور في جملة القصر الأولى (تهجيرها ووسيجها)، وأما جملة القصر الثانية فقد آثر فيها الفعل الماضي (سارت)، وذلك لاختلاف الغرض والمقصد في كل منهما.

فالجملة الأولى الأبر بمعناها أن يكون المقصور على صفة الاستمرار والدوام، فالتهجير والوسيج إلي الممدوح دائم ومستمر؛ لأن الاحتياج إليه في

---

(١) شرح الأعلم صـــ١٨٦-١٨٧.

كل وقت وأوان.

وأما الجملة الأخرى فهي تصف رحلة قامت بها الراحلة للوصول إلى الممدوح ، فالمناسب أن يستخدم الفعل الماضي للدلالة على تحقق الرحلة ووقوعها.

وبناء صدري البيتين على تقديم الجار والمجرور (إلى هرم) تناسب يقوي تناظر المعاني، ويزيد من إحكام التماسك والتلاحم الكلي للمفردات والجمل، فيؤدي إلى عظم وقع المعنى في نفوس السامعين، فيحدث الأنس به، ويستقر في قلوبهم.

وهذا التقديم له ما يشابهه في شعر زهير نفسه، وهو قوله في مدح سنان والد هرم:

وإلى سنان سيرها ووسيجها ∴ حتى تلاقيه بطلق الأسعد

والطلق اليوم الطيب الذي لا برد فيه ولا أذى، والأسعد هو اليمن من السعود(١).

وهكذا تقاربت التراكيب وكاد يتماثل البناء في مدح الولد وأبيه، كما تماثلت الدماء والسمات النفسية وتقاربت صور الأجسام، وهي مناسبة لطيفة تدل على ذكاء زهير وحذقه وفطنته.

ويلاحظ أنه قد ذكر (التهجير) مع هرم ، أما مع (سنان) فلم يذكر ذلك، وذكر في محله (السير)، وبذلك يكون ما مدح به هرم هو أقوى مما مدح به سنان، لما في التهجير من مشقة.

هذا فضلا عن أن (التهجير) لا يتناسب مع قوله: (طلق الأسعد) لأن الطلق كما مر هو اليوم الطيب الذي لا برد فيه ولا أذى، بينما نجده يتناسب مع موضعه في القصيدة محل الدراسة، ويدل على ذلك أننا نجد المشقة ممتدة

---

(١) شرح ثعلب صـ :١٩٨.

في الشطر الثاني من البيت في القصيدة محل الدراسة، وذلك في قوله: (تروح من الليل التمام وتغتدي).

وجملة (تروح من الليل...) فصلت عما قبلها لشبه كمال الاتصال، إذ تقتضي جملة (إلى هرم تهجيرها ووسيجها) سؤالا مؤداه: متى يكون تهجيرها ووسيجها ؟ فكانت بمثابة الجواب عنها.

وكذلك استخدم (من) في قوله: (من الليل) وهي للابتداء؛ وذلك للدلالة على طول زمان الرحلة، فقد بدأت من بداية الليل.

وكذلك استخدم (من) في قوله (من اللوى) وهو موضع[1] للدلالة على بعد مسافة الرحلة، فهو يسير من بداية اللوى.

ولم يكتف بذلك في الدلالة على طول الرحلة، بل قيد (الليل) بالتمام، وهذا مجاز عقلي من الوصف بالمصدر، للمبالغة في التمام، وأنه بلغ أقصى درجاته، فالمصدر يدل على كمال الصفة في الموصوف.

والتنوين في قوله (ثلاثًا) عوضا عن حذف المضاف إليه، والحذف للإشعار بالعموم، فيشمل الليل والنهار، وكذلك سمح الحذف بالتنكير المفيد للتهويل.

وقدم الوصف (الواثق) على (المتعمد) لأنه أبر بسياق المديح، فهي واثقة من تحقق مطلبها عند الممدوح.

وعلاقة قوله: (سواء عليه أي حين أتيته ...) بما قبله واضحة، فما قبله في وصف الرحلة إلى الممدوح، ولذا يناسبه ما جاء في هذا البيت من أن حال الممدوح عند الوصول إليه لا يختلف، وعطاؤه لا ينقطع، سواء أكان في لحظات السرور والهناء أم في لحظات الغضب والتشاؤم.

وقد بنى الأسلوب على طريق الخطاب في قوله: (أيَّ حينٍ أَتَيْتَهُ) وهذا

---

(١) واد من أودية بني سليم ينظر معجم البلدان ٢٣/٥.

يدل على الثقة بالمعنى، وتمكنه في نفسه، والرغبة في ذيوعه وانتشاره، والحرص على إسماعه وقرع الآذان به.

وكذلك آثر فعل الإتيان دون المجيء في قوله: (أي حين أتيته) وذلك لما في الإتيان من الدلالة على المجيء بسهولة، يقول الراغب: " الإتيان مجئ بسهولة، ومنه قيل للسيل المار على وجهه: أتي وأتاوي"(١)، وهذا أنسب بسماحة الممدوح وترحيبه بالمقبلين عليه، المستنجدين به، المتلهفين على كرمه، فالإتيان إليه لا يثقل على النفس ولا يشق عليها، بل هو ميسور سهل لترحيبه بطالبي معروفه المستمطرين إحسانه.

ويلاحظ أنه قد جعل أوقات النحس (ساعة) مما يشعر بضآلتها وقلتها، يقول الراغب: " الساعة : جزء من أجزاء الزمان، ويعبر به عن القيامة ... تشبيهًا بذلك لسرعة حسابه"(٢) .

وفي المقابل من ذلك لا يذكر ذلك مع أوقات الهناء، بل يأتي بصيغة التفضيل (أسعد) في التعبير عنها، مما يدل على نفسه السمحة وخلقه الرفيع.

ولعل من دواعي اختياره للفظ (الساعة) أيضا ما تدل عليه من المباغتة والمفاجأة، قال تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)(٣) فالمباغتة والفجاءة لا تؤثر عليه في قضاء حوائج المستنجدين بفضله، فهو دومًا في أهبة الاستعداد لكل ما يعرض له، وما يطلب منه.

ومن أجل ذلك كان ما أنشده زهير هو الأولى من محاولة الحطيئة تقليده في قوله:

---

(١) المفردات صـــ:٨.

(٢)السابق صـــ: ٢٤٨.

(٣) الزخرف: ٦٦.

سـواءٌ عليـهِ أيَّ حـينٍ أَتَيْتَـهُ ∴ أَفي يومِ نَحْسٍ كَانَ أَو يـومِ أسـعدِ[١]

وينبغي الإشارة إلى أن لحظات السعادة والهناء لا يحمد فيها أحد على العطاء، فالشأن أن تبعث كل أحد على الجود، حتى وإن كان شحيحًا، فذكره قوله: (بأسعد) للتسوية بينها وبين ساعة النحس، فهي كالشيء يذكر لتتم به الفائدة.

وفائدة تقييد قوله: (ساعة نحس) بقوله: (تتقى) إيغال للمبالغة في أن حاله أبعد كل البعد عن تحقيق مطلوب سائله، ومع ذلك كان الأمر على النقيض من ذلك تمامًا، ولذا كان هذا القيد أيضًا أولى من تقييد الحطيئة(يوم) بقوله: (كان).

وقد استأنف معنى جديدًا ومظهرًا من مظاهر تفوق ممدوحه وتميزه، وذلك بقوله: (أليسَ بِضَرَّابِ الكُمَاةِ....) ولذا لم يعطف على ما قبله.

ويلاحظ أنه قد قدم على هذا المعنى المتعلق بالشجاعة المعنى المتعلق بالكرم، وهذا سمت نجده في مواضع أخرى من النص، وفي مواضع أخرى من شعره كما ذكر بعض الدارسين[٢].

والاستفهام (أليسَ بِضَرَّابِ الكُمَاةِ....) لتقرير انتصار الممدوح على الأبطال الشجعان وتحريره للأسرى، مما يدل على أهميته بين الناس وتأثيره فيهم، وهذا المعنى الأولى به شيوع معرفته وانتشار خبره، ولذا استخدم الاستفهام التقريري.

و(الكماة) جمع مفردها: كمي، وهو الشجاع الذي يكمي شجاعته أي يكتمها[٣]، واختياره لها لأن كتمان شجاعته يجعل بأسه أشد وقتاله أعنف، فهو

---

(١) ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت صـ:٧٠- تحقيق: د. مفيد محمد قميحة- دار الكتب العلمية-بيروت- الطبعة الأولى١٤١٣هـ-١٩٧٠م.

(٢) نسق الكلام في شعر زهير صـ : ٢٠٣.

(٣) شرح ثعلب صـ:١٦٨.

فهو لا يبرز شجاعته أمام كل أحد فتتبدد قدراته، ولكن يظل محتفظًا بها، وهذا يجعل قتاله أعنف، ومواجهته أشرس، وتتضاعف هذه الدلالات مع اختياره لصيغة الجمع، المقتضية لتنوع أنواع الشجاعة، وضروب المهارة.

وقد قدم قوله: (ضراب الكماة) على قوله : (فكاك الأسير) وذلك حتى يفيد أن إطلاقه الأسارى أثر من آثار قوته.

والإضافة في قوله: (بسيفه) تفيد التلازم بين الممدوح والسيف كالتلازم بين المتضايفين.

وآثر في التعبير عن إطلاق الأسرى التعبير الكنائي: (فكاك أغلال ...) وذلك لدلالته على صعوبة إطلاق الأسرى، واحتياجه لجهد بالغ ومهارة عظيمة، والخبرة الهائلة بهذا العمل الجليل، وراجع في بناء الكناية قوله: (أغلال) و(الأسير المقيد) مما يدل على خطورة الأسير والحرص على عدم فراره.

والتشبيه في قوله: (كَلَيْثِ أبي شِبْلَيْنِ..) ينقل قوة الممدوح واقتداره، وتقييد المشبه به بالصفة (أبي شبلين) تتميم[1] للمبالغة في قوته وفتكه، وقوة الدافع له للقتال، فهو في قمة الشباب والفحولة، والدافع له للقتال عظيم، وهو الدفاع عن فلذات أكباده، يقول ابن فارس: " الشين والباء واللام أصل صحيح يدل على عطف وود، يقال لكل عاطف على شيء واد له: مشبل، ومنه اشتقاق الشبل، وهو ولد الأسد لعطف أبويه عليه"[2].

وقوله: (يحمي عرينه) مجاز عقلي، فقد أوقع الحماية على العرين، وإنما يُحمَي ساكنو العرين، وذلك للدلالة على تمكن الممدوح من الحماية،

---

(١) التتميم هو: أن يؤتى في كلام لا يوهم غير المراد بفضلة تفيد نكتة- عروس الأفراح ١/٦١٤.

(٢) مقاييس اللغة مادة(شبل).٣/٢٤٢.

واستقرار وراحة واطمئنان من يقيمون في كنفه وتحت لوائه، حتى إن ذلك يمتد إلى المكان الذي يبسط فيه قوته.

وقد اختار أن يقول (لاقى) دون أن يقول : لقى؛ وذلك لما تدل عليه صيغة (فاعل) من المولاة والمتابعة[١]أي استمرارية وقوع الحدث بلا انقطاع، فالممدوح تتوالي عليه الشدائد، وتتابع عليه الكوارث والبلايا، ومع ذلك لا ينكث ولا يقصر في مجابهتها، والتصدي لها.

وقوله: (لم يعرد) أي لم يفر[٢]، وقد آثر النفي بـــ (لم) لأن النفي بها ينفي الفعل في الماضي مع بقاء دلالة المستقبل مرادة "هي من القرائن الصارفة الأفعال المضارعة إلى معنى الماضي، وإن كان لفظها يصلح للحال والاستقبال"[٣]، وهذا أبر بشجاعة الممدوح وإقدامه، فبطولته لم تتخلف في أي زمن كان.

والواو في قوله: (وَمِدرَهُ حَربٍ حَمِيُها...) لاستئناف معنى جديد يعبر فيه عن فضل هرم بن سنان.

وقد روي (مدرهِ) بالخفض بناء على العطف على قوله: (ضراب)[٤] فيدخل هذا البيت في المعاني المقررة عن طريق الاستفهام التقريري (أليسَ بِضَرَّابِ الكُمَاةِ...) في البيت الذي يسبقه.

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٤/ ٢٦٣، دار التراث القاهرة- الطبعة العشرون- ١٤٢٠هـ -١٩٨٨م- وينظر ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي١/٨٤- تحقيق: مصطفى النماس- المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

(٢) شرح ثعلب صـــ : ١٦٨.

(٣) رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي صـــ :٢٨٠ تحقيق: محمد أحمد الخراط- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق(بدون تاريخ)

(٤) شرح ثعلب صـــ:١٦٨.

واعتبار الاستئناف أولى من اعتبار العطف؛ لأن في الاستئناف اهتمام بالمعنى، وإشعار بأنه معنى جديد ومنقبة أخرى تضاف إلى مناقبه، وأدل على الشعور القوى بالمعنى، وهو حقيق بذلك لما فيه من بيان لفضل الممدوح على نحو بالغ، كما سيتضح في الدلالات التي سنوضحها في أثناء التحليل.

وقد فسر ثعلب قوله: (مدره) بأنه مدفع من درأت، وهو فارس القوم الذي يدفع عنهم[١]، وهذا التفسير لا يبرز المقصود، والأولى في التفسير ما ذكره ابن منظور نقلًا عن ابن الأعرابي ، يقول: " دره فلان علينا ودرأ إذا هجم علينا من حيث لم نحتسبه"[٢] ، فالمادة تعكس الخبرة الفائقة والتميز البالغ عن غيره، فهو يقاتلهم بما لم يعهدوه ولم يتوقعوه؛ ولذا آثرها دون مطلق المدافعة التي يذكرها ثعلب؛ لما تدل عليه من معنى زائد عليها.

والإضافة في قوله: (مدره حرب) لتعظيم شأن الممدوح، وقد اختار أن يكون المضاف إليه (حرب) ولم يقل الجيش أو القوم أو نحوهما لأنها أدل على براعته وتفوقه وقدراته التي لا تبارى، فلحظات الحرب وأهوال القتال تذهل اللب وتذهب العقل، ومع ذلك وجدناه على هذا النحو الذي تعبر عنه الدلالات السابقة لقوله : (مدره).

وقوله:(به يتقى) فيه دلالة على المنعة التي يكون فيها أنصار الممدوح، وهذا المعنى لا يكون إن قال (به يدفع) لأنه يقتضي أنهم واقعون في خطر وهو يذب عنهم، لا أنه يمنع عنهم ذلك من البدء كما هو دلالة مادة (وقي)، يقول ابن منظور عن مادة (دفع) :"الدفع الإزالة بقوة" بينما يقول عن مادة (وقي) :" وقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى"[٣]

---

(١) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٢) اللسان مادة (دره)١٣/ ٤٨٧.

(٣) اللسان مادة (دفع)، ومادة (وقي) ٨/٨٧، ١٥/٤٠١.

وقد ترك عطف قوله: (شديد الرجام) على قوله:(مدره حرب) لشدة الاتصال بين الوصفين، فهما متحدان في المضمون، فأشبها الصفة الواحدة، وهي الدراية بالحرب وفنونها والتفوق البارز فيها؛ ولذا كان دخول العاطف يمزق الصفة الواحدة؛ لأنه يؤذن بالتغاير، وهذا يتجاوب مع ما ذكره الزركشي في قوله: " شرط عطف الصفة على الصفة تغاير الصفتين في المعنى، تقول: جاء زيد العالم والجواد والشجاع، أي الجامع لهذه المعنى الثلاثة المتغايرة، ولا تقول: زيد العالم والعالم فإنه تكرار" (١)

وانطلاقًا من ذلك أيضًا تراه في البيت الذي ولي هذا البيت لما اختلفت الصفات في مضمونها وصل بينها بواو العطف، وراجع قوله:(ثقل على الأعداء) وقوله: (وحمال أثقال) وقوله: (ومأوى المطرد) فالوصف الأول بيان لتغلب الممدوح على أعدائه، وأنهم لا يقتدون على التصدي لقدراته.

والوصف الثاني وصف لقيامه بالأعباء الشديدة التي يضعف غيره عن مجابهتها.

والوصف الأخير كونه ملاذًا للضعفاء الذين لا يجدون ملاذًا آمنًا، وتقطعت بهم السبل، فالأوصاف متباينة؛ ولذا وصلت بالواو.

وقوله: (الرجام) أي المراجمة(٢)، وهي القذف بالأحجار، واستعاره لما تقذفه يده من سهام ورماح، وما يلفظ به من قول ردًا على أعدائه، والاستعارة دالة على شدة تأثير قوته وقوله، ووقعهما الأليم على أعدائه.

واللسان مجاز مرسل عن أقواله، وهو يدل على تمكن الفصاحة والبلاغة

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي٢/٤٤٧، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م- دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

(٢) شرح ثعلب صـ: ١٦٨.

منه، من ناحية أن الآلة التي تصدر منها على هذا النحو من الفصاحة، فلابد أن يكون الفاعل أفصح وأبلغ.

وقد جمع بين اللسان واليد للدلالة على توفر أمارات الزعامة ودلالات الرياسة في الممدوح، وهما قوة العقل وقوة البدن، وبيان ذلك أن فصاحة اللسان كاشفة عن نباهة العقل، وقوة اليد مظهرة قوة البدن ومهارات القدرات الحربية.

وقد آثر الإتيان بحرف الجر في قوله : (باليد) وكان يمكنه إسقاطه، وذلك للعناية بإبراز بطولته الجسدية، وأنها جديرة بأن تؤكد ويهتم بها مستقلة عما سبقها من تفوق بيانه، فكلاهما بطولة وتميز جدير بالعناية والاهتمام.

وقد قدم اللسان على اليد للعناية والاهتمام بالبيان والفصاحة، من جهة أن التفوق والنبوغ في الفصاحة أجل وأعظم، إذ هو دليل نباهة العقل ورجاحة الفكر، كما أنها أكثر ندرة من البطولة الجسدية.

وقوله: (وثقل على الأعداء) عطف على قوله: (مدره حرب) للتوسط بين الكمالين، فكلاهما خبرية في اللفظ والمعنى، والمسند إليه فيهما واحد، وهو الضمير المستتر العائد إلى الممدوح.

وقوله: (لا يضعونه) يمثل مدى العجز لأعدائه أمام قوته، وذلك من جهة أن مجرد إنزال الثقل لا يفعلونه، فما بالنا بالتغلب عليه؟!.

واستخدم أداة النفي (لا) لأنها تدل على طول النفي ودوامه[1]، فهي دالة على امتداد زمان انتصاره على أعدائه واستغراقه للحال والاستقبال، فهي أبر بقوة الممدوح وعظم فضله.

و(أثقال) مستعار للحوائج التي تطلب من الممدوح، مما يدل على

---

(١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١/١٦٧- تحقيق: علي محمد العمران- دار عالم الفوائد- الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

صعوبتها، ومع ذلك لا يضعف أمامها، ولا يقصر في أدائها، بل يسيرة عليه، فيكثر من قضائها كما يدل على ذلك استخدامه لصيغة المبالغة (حمال).

وهذا يعكس الفضل العظيم الذي يقوم به الممدوح لأنصاره، والتحول الهائل الذي ينتقلون إليه بعد العناء والتعب.

وقوله: (مأوى المطرد) كناية عن الأمن والأمان والاستقرار في كنف الممدوح.

ولفظة (المأوى) تشعر بالجهد والتعب الذي يبذل قبل الوصول إلى المكان الذي يأوي إليه، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾[2].

والمطرد هو المطرود عن عشيرته[3]، واختياره لبناء اسم المفعول من الفعل غير الثلاثي مضعف العين، يفيد تكرر الطرد، مما يدل على هول الخوف الذي يسيطر عليه، فهو بعيد عن حصن قومه الذين من شأنهم حمايته والذود عنه أمام ما يهدده، وهذا دال على عظم فضل الممدوح عليه عندما يحميه في هذه الحال.

وكذلك تدل مادة(طرد) كما يذكر الراغب على الإبعاد على سبيل الاستخفاف[4] وهذا يشعر بالإكبار والإجلال للممدوح لرعايته لمن على هذا النحو من الضعف وهوان الشأن.

وقد فصل جملة (أَلَيسَ بِفَيّاضٍ يَداهُ) عن قوله: (وَثِقلٌ عَلى الأَعداءِ) للتوسط بين الكمالين، فالجملة الأولى خبرية لفظا ومعنى، والثانية خبرية

---

(١) هود :٤٣.

(٢) الكهف:١٠.

(٣) شرح الأعلم صـــ:١٨٨.

(٤) المفردات صـــ: ٣٠٢.

معنى، مع وجود الجامع بينهما، وهو أن المتحدث عنه فيهما واحد وهو الممدوح.

والاستفهام لتقرير جود الممدوح وكرمه، كما قرر من قبل بالاستفهام أيضًا شجاعته وإقدامه، ويلاحظ أن الاستفهام التقريري في الموضعين جاء مقررًا لأوصاف مبنية على صيغ المبالغة، مما هو دال على عظم فضله في الأوصاف المقررة.

وكذلك يتأخر هنا وصف الكرم عن وصف الشجاعة والإقدام، كما هو من خصائص بناء زهير تراكيبه على نحو ما مر ذكره.

واستعارة (الغمامة) لعطاء الممدوح، يدل على الحاجة إلى عطاء الممدوح، وأنه يحافظ على الروح والحياة، وبدونه يتهدد الوجود، كما يتهدد بانعدام الماء الناتج عن الغمامة.

كما تدل الاستعارة على اتساع مدى جوده وكثرة من يصيبهم كرمه، لاسيما عند ملاحظة صيغة المبالغة (فياض).

وقوله: (ثمال) يقال: فلانٌ ثِمالٌ لبني فلانٍ، إذا كان لهم غياثاً وقواماً يقوم بأمرهم(١)، وهو يدل على دوام الاحتياج إلى الممدوح، يقول ابن فارس: " الثاء والميم واللام أصل ينقاس مطردًا، وهو الشيء يبقى ويثبت.... يقال: دار بني فلان ثمل، أي دار مقام"(٢).

ووصف الممدوح بأنه معتمد اليتامى وعونهم الدائم دال على ما جبل عليه الممدوح من رأفة ورحمة ورقة وإنصاف.

وقد اختار اليتامى دون غيرهم؛ وذلك لأن اليتم هو أمارة الضعف والهوان، والطمع فيه أكثر، خاصة مع ما يحكم المجتمع في هذا الزمان من

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٩٥/٥

(٢) مقاييس اللغة مادة (ثمل) ٣٨٩/١.

عادات جاهلية وقسوة دامية.

وقد أطلق (السنين) وكان يمكنه أن يقيدها بوصف من قبيل الشديدة ونحوها، ولكنه أراد عموم الاحتياج إليه في كل الأزمان.

وأما التقييد بقوله: (محمد) فهو من قبيل الإيغال للمبالغة في فضل الممدوح، وهذا دال على أن العطاء حقق الهدف والغاية منه في سد متطلبات المحتاجين له على أتم وجه وأوفاه، خاصة مع اختياره لبناء الكلمة على صيغة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام للحمد، واختيار صيغة المفعول للمبالغة في الحمد، وبناء الصيغة من فعل مضعف العين للدلالة على تكرر الحمد وكثرته.

ومن الملاحظ أنه قد فصل الصفات ولم يصلها في هذا البيت وهي (فياض) (ثمال) (محمد)؛ وذلك لأنها من واد واحد، ودالة على معنى متفق، هو الجود والإكرام، فدخول العاطف يؤذن بالتغاير، ويمزق الصفة الواحدة كما سبق.

ولم يعطف قوله: (إذا ابتدرت قيس بن عليان غاية...) على ما قبله لاستئناف معنى جديد، وإبراز مظهر من مظاهر تفوق هرم بن سنان.

و(قيس) هي قبيلة هرم، وهو قيس بن عليان بن مضر[1]، وقد ذكرها ليدل على شرف قبيلة الممدوح ومنبته، وأنهم أهل مجد يتسارعون إلى المكارم ويجعلونها هدفًا وغاية، فما بالنا بمن

ويترتب على هذا المعنى أنه قد امتدحه بهذا التركيب من جهتين، من جهة أن قومه أهل مجد يتسابقون إلى المعالي، ومن جهة أنه أسبقهم في هذا

---

(١) الإنباه على قبائل الرواة – لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي صـ : ٦٦– دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م

الميدان وأعلاهم رتبة في هذا الشرف.

وكذلك عني بذكر (عليان) والد (قيس) وذلك لتمييز القبيلة وتحديدها تحديدًا جليًا في الإسناد إليها، وهو معنى حقيق بتمييز من يسند إليه، فهو شرف ومجد.

بالإضافة إلى أنه يشعر بالاعتزاز القوي بهذه القبيلة وهذا النسب، لا سيما مع ما تحويه مادة الاسم (عليان) من رفعة وسمو.

ويلاحظ أن الأسلوب الشرطي في قوله: (إذا ابتدرت....) قد طال حتى استغرق بيتين، فالشرط (ابتدرت...)استغرق البيت الأول، وجوابه (سبقت...) استغرق البيت الثاني كاملًا، بل إن البيت الثالث(كفضل جواد...) مرتبط بالجواب، فهو توضيح وبيان له.

وسبب طول الشرط ما أقحمه فيه من جملة اعتراضية (من يسبق إليها...)، وأما سبب طول الجواب فهو الأوصاف التي أتبعها لقوله: (كل فضل...).

وهكذا فإن " شيوع القول بأن الجملة الشعرية تكون غالبًا جملة قصيرة، ليس على إطلاقه، فنحن مع زهير- مثلًا- لحظنا كثرة الجمل الطويلة لديه، التي هي فعلًا جملة واحدة، حتى في المصطلح النحوي"[١].

وآثر استخدام (ابتدرت) دون تسارعت مثلًا، لما تفيده هذه المادة للكلمة بالإضافة إلى السرعة من دلالة على البديهة[٢]، فلم يكن هناك استعداد مسبق للتباري في مجالات المجد، فما صدر من القوم ومن الممدوح من التباري كان عفوًا منهم جميعًا، وهذا يناسب قوله في المشبه به: (يسبق عفوه.....).

وكذلك هذه المادة تدل على الحدة والحمية، ولذا من اشتقاقاتها البادرة

---

(١) نسق الكلام في شعر زهير صـــ:٣٦١.

(٢) اللسان مادة (بدر) ٤٨/٤.

وهي الحدة[١]، مما يدل على قوة الرغبة في تحقيق المطلوب.

وقد جاء الشرط ماضيًا، وإن كان الأصل أن يكون مستقبلًا[٢]، وذلك للدلالة على أن سعي ومبادرة هذه القبيلة إلى غايات المجد ومراقي السؤدد أمر لابد منه، وهو متوقع الحصول.

وآثر (غاية) دون مدى مثلًا؛ وذلك لأنه كما ذكر أبو هلال أن غاية الشيء هي نهايته، وأما مداه فهو ما بينه وبين غايته[٣]، والأولى أدل على شرف المطلب والمبتغى.

والجملة الاعتراضية بين الشرط والجواب (من يسبق إليها يسود) هي أيضا جملة شرطية، وجاءت منسبكة سبكًا محكمًا في البناء، وهي دالة على الأهمية الرفيعة لهذا المجد الذي ابتدرت إليه قيس، فقد جعلته طريقًا للسؤدد ومعيارًا للزعامة.

ويلاحظ أنه قال في هذه الجملة: (يسبق)، وكأنه يريد أن يفيد أن مجرد نيل هذه الغاية أمر ميسور لا يصعب على أحد منهم، ولذا جعلوا السؤدد في السبق إليها.

ومن ملامح الدقة عند زهير الاختلاف في زمان أسلوبي الشرط، فالجملة الشرطية الأساسية جاء فيها الشرط وجوابه ماضيين لما سبق بيانه.

وأما الجملة الشرطية الواقعة اعتراضًا فقد جاء فيها الشرط وجوابه مضارعين، لإفادة أن معيار التفاضل في السؤدد الذي يعبر عنه هذا الشرط مستمر ومتجدد، مما يكسب المعيار الصحة والاقتناع به مادام مستمرًا متجددًا على الرغم من تغير الأزمان ومرور الأيام.

---

(١) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٢) الإيضاح صـــ:٨٨.

(٣) الفروق اللغوية صـــ: ٢٩٣.

وقد انتقل في قوله: (سبقت إليها.....) إلى خطاب الممدوح بعد أن كان الأسلوب مبنيًا على الحديث عنه بأسلوب الغائب، وسر الالتفات هنا أنه يعبر في هذا المعنى عن غاية من المجد يرغب قوم الممدوح في تحقيقها وحصولها، فالأولى مخاطبته بأنه هو السبَّاق إلى تحقيقها، لأن ذلك يجعله أكثر حرصًا على تحقيقها، كمن يطلب معروفًا من شخص فالأولى في تحقيقه أن يقف مخاطبًا له مستمطرًا منه معروفه.

وقد اجتهد في أن يرفع من قدر هؤلاء الأماجد الذين يتفوق عليهم الممدوح، وراجع في ذلك وصفهم بقوله: (طلق)، يقال: رجل طلق اليدين : معطاء[١]، فهو كناية عن الكرم والسماحة، وهي دالة على الاستجابة السريعة لداعي الكرم.

وكذلك بنى أوصاف هؤلاء الأماجد على صيغ تدل على المبالغة، وهي (طلق) و(سبوق)، وأما قوله: (مبرز) فقد بناه من فعل مضعف العين للتكثير والمبالغة في تكرر الحدث.

وقد قدم من هذه الأوصاف (طلق) وذلك لأن المقام مقام حديث عن التسارع إلى الغايات، فهو أحوج ما يكون إلى وصف دال على الاستجابة السريعة إلى المكارم والمبادرة العاجلة إلى الغايات.

وقد فصل أيضا الصفات ولم يصلها في هذا البيت؛ وذلك لأنها دالة على معنى متفق، هو الجود والإكرام، فدخول العاطف يؤذن بالتغاير كما سبق.

وقوله: (غَيرِ مُجَلَّدِ) أي تنتهي إلى الغايات من غير أن تجلد وتضرب[٢]، وهو استعارة للمتبارين في مجالات المجد على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، فهو قد شبه المتسابقين إلى ميادين الشرف بكرام الخيل

---

(١) شرح ثعلب صـــ: ١٦٩.

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة.

التي تصل إلى غايتها من غير أن تضرب وتجلد، ثم استعار من هذه الخيل الوصف(مُجَلَّدِ) للمتسابقين للمجد.

والاستعارة دالة على ما جبل عليه المتسابقون من مبادرة وسرعة في تحقيق المقصود، حتى إنه يستوي لديهم الحث على السرعة وعدم الحث، كما يستوي لدى الخيل الكريمة الضرب لها وعدم الضرب في تحقيق السرعة.

ولأجل هذه الاستعارة وما فيها من الدلالات المشار إليها كانت رواية (غير مُجَلَّدِ) أولى من رواية نقلها ابن قتيبة، وهي رواية (غير مبلد)، أي غير مبطئ[١].

وذكر المغايرة (غير) في التعبير السابق يعقد مقارنة بين من يصل إلى الهدف من تلقاء نفسه بدون حث، وآخر يصل إليه مع الإكراه والإجبار للنفس والحث الشديد، وهذا يبرز فضل هؤلاء المتسابقين بصورة أكثر، إذ بالضد تتميز الأمور.

وقوله: (كفِضْلِ جَواد الخَيلِ..) أي فضلك على أهل الكرم والفضل كفضل الجواد من الخيل على السراع منها، فكيف على غيرها[٢]، وذكر ثعلب رواية أخرى هي (كسبق جواد الخيل..)[٣].

والرواية الأولى أولى؛ لأن السبق مدلول عليه في تضاعيف البيت، وهو قوله: (يسبق عفوه..)، كما أنها أبلغ في الدلالة، فهي تحوي السبق وزيادة.

والطباق بين قوله: (عفوه) وقوله: (يجهدن) يبرز الفارق الهائل بين كرائم الخيل، وبين غيرها من سراع الخيل، مما يدل على القدرات الطبعية العظيمة لها، والتي لا تبارى.

---

(١) الشعر والشعراء ١/١٨٣.

(٢) شرح الأعلم صـــ:١٨٩.

(٣) شرح ثعلب صـــ:١٦٩.

وقد حذف الموصوف في قوله: (السراع) للمسارعة إلى ذكر الصفة، وتركيز الذهن عليها.

وقد فسر ثعلب (يُبْعِدِ) بأنه يسبق بعيدًا، ويذكر رواية أخرى وهي (يَبْعُدِ) وهي من بعُد أي صار بعيدًا[1]، والرواية الثانية أقوى؛ لدلالة صيغة (فَعُل) على الملازمة للبعد، أي يسبق جواد الخيل غيره، ويصير ملازمًا للبعد.

وفي قوله: (تقيٌّ نقيٌّ لم يكثرْ ....) قد استأنف معنى جديدًا من المعاني التي تبرز أوصاف الممدوح وفضائله، ولذا قطعه ولم يعطفه على ما قبله، وهذا المعنى هو ما يتمتع به من التقى والبعد عما يسبب ظلمًا لذويه، وسلامة باطنه وسريرته.

وقد حذف المبتدأ، فالأصل هو تقي، والحذف للقطع والاستئناف؛ إشارة إلى تميز هذا الجزء من المعنى والانفعال به.

وقوله: (نقي) كناية عن طهارة القلب وصلاح الصدر، وهي دالة على تمكن هذه الأوصاف من الممدوح، وهي تجعل الأوصاف التي جاءت أثرًا لذلك الوصف وبيانًا له– وهو ما جاء عقبه، وهو قوله: (لم يكثر غنيمة....)– في غاية التمكن من الممدوح ما دام المحرك لها على هذا النحو من طهارة الفؤاد، وخلو القلب مما يمكن أن يشوبه من آفات باطنية.

وقدم التقى على النقاء، لأنه هو الترتيب المنطقي من جهة أن التقى يدرك أولًا، كما أنه أثر ودليل على النقاء، فهو من تقديم الدليل قبل الدعوى.

ويلاحظ هنا أنه قد التفت من خطاب الممدوح في قوله: (سَبَقْتَ إلَيها كُلّ طَلْقٍ..) إلى الحديث عنه بطريق الغيبة (تقي نقي لم يكثر...) لأنه انتقل إلى الحديث عن أوصاف الممدوح، فالمناسب لإبراز الصدق فيها ألا يكون الممدوح حاضرًا مخاطبًا بها.

---

(١) شرح ثعلب صـــ : ١٦٩.

وقد عاب الكثير من النقاد استخدام زهير لكلمة (حقلد)، وهو السئ الخلق أو هو البخيل السيء الخلق، أو الحقد والعداوة[١]، ومن هؤلاء النقاد أبو هلال وابن سنان والآمدي، وذكروا أنه لا يعرف في شعره لفظة هي أنكر منها[٢].

ولعل الذي حدا بهؤلاء الأئمة إلى الحكم بإنكار هذه اللفظة هو كراهة السمع، من جهة نغم اللفظ، فقد رأوا أن موسيقاها تنفر الأذن منها، ولا تحظى بالقبول.

وفي تقديري أن الكراهة ليست بالشديدة التي تخرج الكلمة من الفصاحة، وبخاصة أن المرجع والحكم الفيصل في جودة الكلمة" هو " الملائمة بين الكلمة ومعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك كالسياق العام للأبيات، ومدى موافقتها للغرض الذي يحدد حسن الكلمة وقبحها"[٣]، يقول الإمام عبد القاهر: " الألفاظَ لا تتفاضَلُ من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدةٌ ولا من حيثُ هي كلمٌ مفردةٌ، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظةِ لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما لا تعلُّق له بصريحِ اللفظ"[٤]

واختياره لهذه الكلمة له ما يبرره، وهو أن الشاعر أراد أن يبرز تميز

---

(١) اللسان مادة (حقلد) ١٥٥/٣.

(٢) الصناعتين لأبي هلال العسكري صـــ:٣٠- تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية – بيروت- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي صـــ: ٦٦- دار الكتب العلمية١٤٠٢هـــ -١٩٨٢م بيروت- والموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي ٣٠٢/١

(٣) مناقدة ابن سنان الخفاجي للمتنبي بين التحليل البياني والعمود الشعري- أ. د/ علي عبد الحميد عيسى- مطبعة العدوي- الطبعة الأولى ١٤١٨هـــ -١٩٩٧م- صـــ: ٣٧.

(٤) دلائل الإعجاز صـــ:٤٦.

الممدوح والفارق بينه وبين غيره، ذلك أن التضاد يميز بين الأمور ويوضحها أكثر، ولذا اختار أبعد من يكون عن الخلق القويم، الذي اتصف به الممدوح، ووازن بينه وبين الممدوح، فاختار (حقلد).

ومما يدل على مدى بعد هذا الوصف عن جادة الأخلاق القويمة قول ابن فارس عن الأصل الاشتقاقي لهذا الوصف: " وهو من أحقد القوم، إذا لم يصيبوا من المعدن شيئًا"(١).

كما أن في كلمة (حقلد) إدغامًا للام، والإدغام فيه خفاء وتغطية، يقول الأزهري:" الإدغام: إدخال اللجام في أفواه الدواب..... وإدغام الحرف في الحرف مأخوذ من هذا "(٢)، والخفاء والتغطية أنسب بسوء الخلق، الذي يحرص صاحبه على ستره وإخفائه، وكذلك التثقيل الناتج عن الإدغام في الكلمة مناسب لثقل هذا الوصف على النفس السوية.

وواضح الاختلاف في صياغة المتعاطفين في قوله: (لم يكثر غنيمة...) فالمعطوف عليه الفعل المضارع في قوله: (لم يكثر) والمعطوف الاسم في قوله: (ولا بحقلد)؛ ولذا ذهب النحاة إلى أن فيه عطف على اسم متوهم مكان لم يكثر، فتقدير الكلام: ليس بمكثر(٣).

---

(١) مقاييس اللغة ١١٦/٢

(٢) تهذيب اللغة للأزهري٩٥/٨.

(٣) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي ٣١٧/٤-٣١٨- تحقيق: د. حسن هنداوي دار القلم - دمشق -الطبعة الأولى- وشرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد» لناظر الجيش ١٢٤٧/٣تحقيق: د. علي محمد فاخر وآخرون- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة- الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ- ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام صـ٦٨٠- تحقيق: د. مازن المبارك / ومحمد علي حمد الله - دار الفكر - دمشق- الطبعة السادسة، ١٩٨٥- والدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٢/ ٥٥٦- تحقيق: د/ أحمد محمد الخراط- دار القلم، دمشق.

وهذا يطرح تساؤلا: لماذا آثر صيغة الفعلية في المعطوف عليه؟ ولما لم يأت بالاسمية، خاصة أنها لا تحوج إلى العطف على متوهم ؟

والجواب عن ذلك: أن المعنى المعبر عنه في المعطوف عليه يقتضي التجدد الاستمراري، الذي تدل عليه صيغة الفعل المضارع، فهو يتناول نفي الإكثار عن اغتنام حقوق ذوي القربى، وهذا أمر لا يتصف بالثبات والدوام، بل هو متجدد بتجدد الحروب والغنائم، بخلاف المعنى المعبر عنه في المعطوف، وهو نفي صفة سوء الخلق، فهي صفة لازمة ثابتة يلتزمها دومًا من يتخلق بها، فالأولى بها صيغة الاسم الدالة على الثبوت والدوام.

وقد قدم قوله: (لم يكثر غنيمة) على قوله: (ولا بحقلد) لمناسبة ما قدمه من أوصاف الممدوح، فقد قدم (تقي) على (نقي) فعندما أتى بالأوصاف المنفية عن الممدوح راعى في ترتيبها ترتيب الصفات المثبتة للممدوح، فإن التقى يناسب (لم يكثر غنيمة...) والنقاء يناسب (ولا بحقلد).

وتجدر الإشارة إلى أنه ليس المراد هنا نفي الإكثار من الغنيمة عن الممدوح فقط، ولا نفي المبالغة في الحقد وسوء الأدب وفساد الباطن عنه فقط، ولكن المراد نفي مطلق الغنيمة ونفي مطلق سوء الخلق عنه.

ولعله اختار ذلك المسلك للدلالة على كثرة ما دخله من معارك حربية برفقة ذوي قرابته، أو يكون ذلك دلالة على هول قوة الممدوح وعظم ذكائه من جهة أنه لو فعل شيئًا من هذه الأفعال لكان فعله أشنع ما يكون وأشد.

وواضح أسلوب الاستثناء في قوله (لم يكثر....) وقد استغرق ثلاثة أبيات، وطوله ناتج عما أقحمه فيه من قيود، ومع ذلك لم نجد تداخلًا في التراكيب، وهذا من سمات بيان زهير، والذي أشرت إليه في أكثر من موضع في النص.

والاستثناء هنا من قبيل المدح بما يشبه الذم، فقد استثنى من صفة ذم

منفية عن الممدوح صفة مدح، فهو دليل على نقاء الممدوح وتقواه.

وقوله: (ربع)أي مرباع، وهو ربع الغنيمة الذي يأخذه قائد الجيش[١]، وعلى الرغم من أن نيل الممدوح الربع لا يعيبه باعتباره قائدًا للجيش، فإن زهيرًا اجتهد في أن يجرد أخذ الممدوح المرباع من أي شين، وراجع تقييد الربع بالصفة المنفية(لم يأت فيها مخانة) وما عطف عليها (ولا رهقا....) والحال (يطيب له).

وقد بدأ بنفي الأشد في الشين، وهو (لم يأت فيها مخانة)، ثم الذي يليه (ولا رهقًا....)، ولم يكتف بذلك فقيده بالحال(يطيب).

وأسلوب الاستثناء ظاهر فيه سمته في تقديم الحديث المتعلق بالعطاء، وهو قوله: (سوى ربع ...)على الحديث المتعلق بالشجاعة والقتال، وهو قوله: (افتراص بسيفه...).

وقد فسر ثعلب والأعلم(افتراص) بتفسيرين، كلاهما يخدم الغرض ويحقق الهدف، يقول ثعلب: " يقال: فرص الحذاء النعل إذا خرق نعلها، والمفرص والمفراص الذي يخرق به" فهو بمعنى القطع، مما يدل على التمكن البالغ من تحقيق الهدف.

ويقول أيضا: " ويقال: افتراص من الفرصة"[٢]مما يدل على السرعة في إنجاز الهدف، والقدرة على اقتناص التوقيت المناسب.

واحتمال اللفظ لأكثر من معنى يناسب الغرض هو أمر جيد، ويغني الغرض ويعزز الهدف المبتغى، وهو دليل النجابة والتفوق البياني.

وقوله: (دهش) الدهش هو ذهاب العقل من الوله أو من الفزع أو من

---

(١) اللسان مادة (ربع) ٩٩/٨.

(٢) شرح ثعلب صـــ : ١٧٠، وينظر شرح الأعلم صـــ :١٩٠.

الذلة ونحوه[١]، وقد أراد به هنا العجلة، كما ذكر ثعلب والأعلم[٢]، فيكون قد ذكر المسبب، وأراد السبب على سبيل المجاز المرسل، وهو دال على السرعة البالغة للممدوح في إيقاع الهزيمة وانتهاز الفرصة، حتى إنه يذهب العقل تعجبًا من ذلك الوضع.

و(العارض) هو السحاب الذي يعرض في قطر من أقطار السماء، ثم يصبح قد حبا واستوى[٣]، وهو استعارة تصريحية أصلية عن الجيش للدلالة على حجمه الكبير وعظمه الهائل.

واستخدامه لـــ (في) الظرفية في قوله: (في عارض) دال على مدى الهزيمة التي يتعرض لها الجيش الذي يقاتله الممدوح، فقد نفذت ضربات الممدوح إلى العمق.

وكذلك قوله: (متوقد) استعارة تصريحية تبعية، فقد استعار توقد النار واشتعالها لما يصدر عن الجيش من لمعان السلاح، بجامع الفتك في كليهما، والاستعارة دالة على قوة الجيش وكثرة سلاحه واستعداده للقتال.

---

(١) لسان العرب مادة(دهش) ٣٠٣/٦.

(٢) شرح ثعلب صـــ : ١٧٠، و شرح الأعلم صـــ :١٩٠.

(٣) مقاييس اللغة مادة(عرض) ٢٢٧/٤.

السياق الخامس (الختام): حمد الممدوح باق

فلو كانَ حمدٌ يخلدُ الناسَ لم يمتْ ∴ ولكنَّ حمدَ الناسِ ليسَ بمخلدِ

ولكن منه باقياتٍ وراثةً ∴ فأورثْ بينكَ بعضها وتزود

تَزَوّدْ إلى يَوْمِ المَمَاتِ فإنّهُ ∴ ولو كرهتهُ النفسُ آخرُ موعدِ

وتمثل هذه المقطوعة ختام النص، وهي من الشواهد المشتهرة، والأشعار السائرة، وهي في غاية الإحكام والتجويد؛ وذلك لأن الانتهاء كما يقول ابن رشيق:" هو قاعدة القصيد، وآخر ما بقي منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكمًا لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحًا له، وجب أن يكون الآخر قفلًا عليه"(١).

والتعبير بكون الختام قفلًا يفهم منه ما ذكره العلوي بقوله:" ينبغي تضمينها- أي الخاتمة- معنى تامًا يؤذن السامع بأنه الغاية والمقصد والنهاية"(٢).

وهذا ما نراه في هذا الختام، فهو دال على تمجيد الممدوح وما قدمه من فضل، فهو يذكر أنه إذا كان هناك سبيل للخلود فهو الحمد والعطاء، فكأن العطاء هو الحياة، كما أنه السبيل للبقاء ليس فقط للممدوح، وإنما لذريته من بعده، فهو يترك إرثًا لا يبيد لفلذات الأكباد، الذين يُحرص على أن يقدم لهم كل ما ينفعهم وما يفيدهم.

وتبدو العلاقة بين مطلع النص وخاتمته في أن كلًا منهما حديث عما سيبقى بعد مرور الزمن، فإذا كانت ديار الأحباب قد بقيت منها رسوم تقصد

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني ١/٢٣٩- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- دار الجيل - الطبعة الخامسة١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

(٢) الطراز ٣/ ١٠٤ .

للتمتع بأدنى شيء يذكر بلحظات الهناء والسرور، فإن ما سيبقى بعد موت الممدوح هو صنائع معروفه، التي هي زاد له، وإرث لذريته تبقى معهم، ولا تتبدل ولا تتغير.

ومما يدل على جودة هذا المعنى الذي ختم به القصيد أنه قد أخذه بعض ذوي اللقانة والبراعة، كالأحوص الأنصاري، فقال:

وَلوْ كَانَ بَذْلُ المَالِ والجُودِ مُخْلِداً ∴ منَ النّاسِ إنســاناً لكنــتَ المخَلَّــدا[١]

وأخذه جرير في قوله:

فلوْ كانَ الخلــودُ لفضــلِ قــومٍ ∴ عَلــى قَــوْمٍ لَكــانَ لَنــا الخُلُــودُ[٢]

وصنيع زهير أولى من صنيعهما إلى جانب أنه مبتكر المعنى والسابق إليه، ومن أسرار تفوقه عليهما إطلاق لفظ (الحمد) فهو أولى من (بَذْلُ المَالِ والجُودِ) الذي استخدمه الأحوص؛ لأنه يشمل المال والفعال وكل ما من شأنه أن يحمد، وكذلك أولى من (فضل قوم على قوم) الذي استخدمه جرير؛ لأنه دليل على نجاحه في تحقيق مقصود المحتاجين، وهذا أبر بفضل الممدوح وتميزه.

وكذلك عند النظر في جواب الشرط عندهم، نجد أنه عند زهير(لم تمت) وعند الأحوص (لكنت المخلدا) وعند جرير(لكان لنا الخلود)، وعلى الرغم من أنه ممتنع عند الجميع، لأنه جواب شرط لـــ (لو) وهي تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط[٣]، إلا أن زهيرًا لا يبنيه على المبالغة والادعاء.

---

(١) ديوان الأحوص الأنصاري صـــ :٦٤، تحقيق د. إبراهيم السامرائي- مكتبة الأندلس ببغداد١٣٨٩هـــ- ١٩٦٩م.

(٢) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب١/٣٣٠.

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني صـــ: ٢٧٨.

أما الجواب عند الآخرين فمبني على المبالغة والادعاء الناتجين عن أسلوب القصر الحقيقي الادعائي، فعندهما الممدوح هو وحده المخلد دون كل ما عداه في حالة لو كان العطاء يخلد أحدًا.

وقد عمد زهير إلى الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في الخاتمة؛ وذلك لأنه يطلب فيها من الممدوح الجود وإغداق النعم، فالمناسب أن يخاطبه ويقف ماثلًا أمامه، حتى يكون أدعى لتحقيق مبتغاه.

والفاء في قوله: (فلو كان حمد...) للسببية، فالمعنى بعد الفاء مسبب عما قبلها، فهو يريد أن يقول: لو كان هناك حمد يخلد لكان حمد الممدوح بسبب ما ذكر من بطولته وشجاعته وجوده وكرمه.

والحمد هنا مجاز مرسل عن العطاء لعلاقة المسببية، وهو دال على تحقيق العطاء لهدفه وسد حوائج الناس، ولذا لهجت الألسن بالثناء والحمد.

وراجع إيثاره الخلود في البيت الأول بينما يؤثر البقاء في البيت الثاني؛ وذلك لأن المقصود في البيت الأول امتداد العمر بلا انقطاع أو انتقال من زمان إلى زمان.

أما في البيت الثاني فإن المقصود هو أن حمده باق في زمان حياته، وكذلك باق في زمان موته بلا تغيير، يقول أبو هلال: " الخلود استمرار البقاء من وقت مبتدأ، والبقاء يكون وقتين فصاعدا،....فالخلود اللزوم المستمر؛ ولهذا يستعمل في الصخور وما يجري مجراه، ومن أجله قيل: الأثافي خوالد، فإذا زالت لم تكن خوالد"(١).

وقد وضع المظهر موضع المضمر في قوله: (ولكن الحمد ليس بمخلد)، وكان الأصل أن يقول: ولكنه ليس بمخلد، وهذا ليدل على أن الحمد للممدوح يتملك النفس، فلا تقتدر على الإخفاء والإضمار له، حتى في الجملة التي ينفي فيها أن يكون حمد الممدوح مخلدًا.

---

(١) الفروق اللغوية صـــ:١١٨.

وفي قوله: (تزود) الزاد : المدخر الزائد على ما يحتاج إليه في الوقت، والتزود أخذ الزاد[1]، وقد استعاره للاستزادة من فعل المكارم والمحامد، وهي مشعرة بأن قوام حياته على المحامد كما هو الشأن في الطعام الذي يقوم عليه البدن، وبدونه تفقد الحياة.

وتكراره لهذا الفعل يؤكد الحرص على ما ينفع الممدوح، ويحدث لونًا من النغم الصوتي في الحث على أمر واحد.

وحرف الانتهاء في قوله: (تزود إلى يوم الممات) يدل على الحرص ألا يفوت الممدوح لحظة من لحظات حياته بدون حمد أو مجد إلى أن ينتهي إلى لحظات الممات.

وقد عني بهذا المعنى فذكر عقبه معللًا له (فإنه آخر موعد) فهو آخر موعد وآخر فرصة للعمل وتقديم المنافع، وأكد هذا المعنى بـــ(إن) المؤكدة.

وقد آثر أن يأتي التعليل لقوله: (تزود إلى يوم الممات) بالفاء والتوكيد بـــ (إن) في قوله : (فإنه آخر موعد)، وكان يمكنه أن يبني الأسلوب على الاستئناف البياني، فيقول مثلا: إنه آخر موعد، فيجعل الممدوح يتوقع التعليل ويسارع ذهنه إليه، ولكنه يريد معنى أولى من ذلك، وهو المبادرة لتقديم التعليل للممدوح دلالة على الرغبة السريعة في إفادة المعنى، فلا يترك له مجالًا لكي يفكر في العلة والسبب، وهذا أكثر مناسبة للحث على التزود من المحامد، الذي هو مقصود زهير من هذا الختام.

و(لو) في الجملة الاعتراضية: (ولو كرهته النفس) حرف امتناع، فالممدوح لا يكره الموت، وتبدو فائدة الاعتراض في الدلالة على شخصية الممدوح الفذة، وتساميه على ما يسود عالم الناس من الفزع والرعب من الموت.

كما أن هذا الاعتراض يخفف من الغلظة في التعبير الناتجة عن مواجهة الممدوح بموته، ببيان أن هذا الأمر لا يخيف الممدوح ولا يفزع منه.

---

(١) المفردات صـــ:٣٨٦.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة على من ختمت به الرسالات، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد

- ظهر في الدراسة العلاقة الوثيقة لسياقات النص المختلفة بالمقصد الذي يؤمه زهير من قصيده، فترى مقاصد زهير من قصيدته في شتى السياقات التي تناولها، بدء من المقدمة الطللية، ثم وصف الراحلة التي أوصلته إلى الممدوح، ثم وصف الخنساء، وهي البقرة التي شبهت بها الراحلة، ومما يدل على أهمية المطلع عند زهير أن مدح هرم بن سنان- وهو الغرض من النص- لم يصرح به إلا في ثمانية عشرة بيتًا من ستة وأربعين بيتًا هي جملة النص؛ فلا يعقل أن شاعرًا فحلًا معدودًا في الطبقة الأولى من الشعراء ومجبولًا على التدقيق والإحكام يطيل هذه الإطالة في مقدمات نصه دون أن يقصد إلى أن يودع في هذه المقدمات إيماءات إلى مقصده تؤيده وتعطي إيحاء به.
- من المطلع ما يتناغم مع السياق الحالي للمقصد ويتقاطع معه، ومنه ما يتوافق مع السياق المقالي للمقصد
- يلاحظ أن معظم افتتاحات شعره كانت بالفعل الماضي كهذا الفعل (غشيت) الذي بدأت به الدالية، وكانت هذه الافتتاحية زاخرة بالمعاني القلبية العامرة.
- أن الجمل عنده تطول، ويخرج من الجمل الرئيسة العديد من الجمل، ولا تجد بسبب ذلك تعاظلًا وتداخلًا في النظم، وهو سر من أسرار إعجاب عمر بن الخطاب بشعر زهير، وليس فقط عدم وجود تعاظل في التراكيب، ولكن سر إعجابه أنه لا يحدث التعاظل مع طول التراكيب.

- يقدم المعاني المتعلقة بالكرم على المعاني المتعلقة بإبراز القوة والشجاعة، ويرجع ذلك إلى ما تمتع به من أخلاق كريمة وحبه للخير وإسداء المعروف.
- تأثر بعض أعلام الشعراء بالكثير من صياغاته وتراكيبه وصوره.

أهم المراجع

١) الإعجاز البلاغي (دراسة تحليلية لتراث أهل العلم) أ. د محمد محمد أبو موسى- مكتبة وهبه ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.

٢) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني- دار إحياء العلوم – بيروت – الطبعة الرابعة – ١٩٩٨م.

٣) بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية- تحقيق: علي محمد العمران- دار عالم الفوائد- الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م- دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

٥) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي – مكتبة الآداب – الطبعة السابعة عشرة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور- الدار التونسية للنشر- تونس١٩٨٤هـ.

٧) التعريفات للسيد الشريف الجرجاني- تحقيق: إبراهيم الإبياري- دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى١٤٠٥ هـ.

٨) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي تحقيق: د/ فخر الدين قباوة – والأستاذ/ محمد نديم فاضل- دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٩) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القاضي وكِفَايةُ الراضي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي للشهاب الخفاجي- دار صادر- بيروت.

١٠) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تحقيق: د/ أحمد محمد الخراط- دار القلم، دمشق.

١١) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني- تحقيق: محمود محمد شاكر- مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة- الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٢) دلالات التراكيب- أ. د/ محمد أبو موسى- مكتبة وهبة- الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٧ م.

١٣) ديوان ابن الرومي شرح أحمد حسن بسيج - دار الكتب العلمية بيروت- الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ -٢٠٠٠م.

١٤) ديوان أوس بن حجر- تحقيق: محمد يوسف نجم- دار بيروت للطباعة والنشر بيروت١٤٠٠هـ-١٩٨٠

١٥) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب - تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه - دار المعارف بالقاهرة.

١٦) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني - تحقيق: صلاح الدين الهادي- دار المعارف مصر١٩٦٨م.

١٧) شرح أبي العباس ثعلب لديوان زهير- تحقيق: د. فخر الدين قباوة- مكتبة هارون الرشيد للتوزيع- دمشق- الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

١٨) شرح الأعلم الشنتمري لديوان زهير تحقيق: د. فخر الدين قباوة- دار الآفاق الجديدة بيروت- الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١٩) شرح الأعلم الشنتمري لديوان طرفة بن العبد - تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال- المؤسسة العربية- بيروت- الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.

٢٠) الشعر والشعراء لابن قتيبة- تحقيق: الشيخ. أحمد محمد شاكر - طبعة دار المعارف

٢١) الصناعتين لأبي هلال العسكري تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد

أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية – بيروت

٢٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي – تحقيق: الأستاذ محمود محمد شاكر طبعة المدني.

٢٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للبهاء السبكي- تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي – المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

٢٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- دار الجيل- الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

٢٥) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري – تحقيق: محمد إبراهيم سليم- دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة.

٢٦) الكشاف للزمخشري- دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ

٢٧) الكليات لأبي البقاء الكفوي تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري- مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٨) لسان العرب لابن منظور – دار صادر – بيروت- الطبعة الأولى.

٢٩) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني – تحقيق: صفوان عدنان الداودي – دار القلم بدمشق الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

٣٠) المفضليات للمفضل الضبي- تحقيق: الأستاذ أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون – دار المعارف – القاهرة- الطبعة السادسة.

٣١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس- تحقيق: عبد السلام محمد هارون – دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٢) المطول لسعد الدين التفتازاني – طبعة المكتبة الأزهرية للتراث.

٣٣) مناقدة ابن سنان الخفاجي للمتنبي بين التحليل البياني والعمود الشعري- أ. د/ علي عبد الحميد عيسى- مطبعة العدوي- الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

٣٤) منهاج البلغاء وسراج الألباء لحازم القرطاجي، تحقيق: محمد الحبيب الخوجة- دار الكتب الشرقية تونس- الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٥) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي - تحقيق: السيد أحمد صقر - دار المعارف - الطبعة الرابعة- سلسلة ذخائر العرب.

٣٦) نسق الكلام في شعر زهير- إعداد أ. د/ هيفاء عثمان عباس فدا- رسالة ماجستير بجامعة أم القرى - إشراف أ. د/ محمد محمد أبو موسى ١٤٠٥هـ -١٩٨٦ م.

The most important sources and references

1) Rhetorical Miracles (An Analytical Study of the Heritage of the People of Knowledge) Prof. Dr. Muhammad Muhammad Abu Musa - Wahba Library 1427 AH - 2006 AD.
2) Al-Idah in the sciences of rhetoric by Al-Khatib Al-Qazwini - Dar Revival of Science - Beirut - Fourth Edition – 1998 AD.
3) Badayie al-Fawayid by Ibn al-Qiam al-Jawziati - edited by: Ali Muhammad al-Omran - Dar Alam al-Mafa'id - first edition 1425 AH.
4) A-Burhan in the sciences of the Qur'an by Al-Zarkashi - edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim - first edition, 1376 AH - 1957 AD - dar Ihya' al-Kutub al-Arabia- Issa Al-Babi Al-Halabi and his partners.
5) Baghiat al-Idah li Talkhis al-Miftah in the sciences of rhetoric by Abdul Mutaal Al-Saidi - Library of Arts – 17th edition 1426 AH-2005 AD.
6) Al-Tahrir and al-Tanwir by Tahar Ben Achour, Tunisian Publishing House, Tunisia, 1984 AH.
7) Al-Taerifat of Sayyid Sharif Al-Jurjani - edited by: Ibrahim Al-Ibiari - Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut First Edition 1405 AH.
8) Al-Jinaa al-Daani fi Huruf al-Maeani Al-Muradi edited by: Dr. Fakhr Al-Din Qabawa - and Mr. / Muhammad Nadim Fadel - Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, first edition 1413 AH - 1992 AD.
9) Hashiat al-Shihab eala Tafsir Al-Baydawi called: Enaya Al-Qadi and kifayt Al-Radi on the Tafsir of Al-Baydawi by Al-Shihab Al-Khafaji - Dar Sader - Beirut.
10) Al-Durr Al-Masoun fi eulum alkitaab almaknun of Al-Samin Al-Halabi achieved by: Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharrat - Dar Al-Qalam, Damascus.

11) Evidence of miracles for Abdul Qaher Al-Jurjani – edited by: Mahmoud Muhammad Shaker - Al-Madani Press in Cairo - Dar Al-Madani in Jeddah - third edition 1413 AH - 1992 AD.
12) Semantics of Compositions - Prof. Dr. Muhammad Abu Musa - Wahba Library - Second Edition 1408 AH - 1987 AD.
13) Diwan Ibn Al-Roumi explained by Ahmed Hassan Basij - Dar Al-Kutub Al-Alamia Beirut - third edition 1423 AH -2000 AD.

14) Diwan Aws bin Hajar - edited by: Muhammad Youssef Najm - Dar Beirut for Printing and Publishing Beirut 1400 AH-1980
15) Diwan Jarir explained by Muhammad bin Habib – edited by: Dr. Noman Mohamed Amin Taha - Dar Al-Maaref in Cairo.
16) Diwan Chamakh bin Dirar Al-Dhubyani - edited by: Salah al-Din al-Hadi - Dar al-Maaref Egypt 1968.
17) Explanation of Abu Abbas Tha'lab Diwan Zuhair – edited by: Dr. Fakhr al-Din Qabawa - Harun Al-Rashid Library for Distribution - Damascus - Third Edition 1428 AH - 2008 AD.
18) Explanation of Al-Alam Al-Shantamri Diwan Zuhair edited by: Dr. Fakhr Al-Din Qabawa - Dar New Horizons Beirut - Third Edition 1400 AH - 1980 AD.
19) Explanation of Al-Alam Shantamri Diwan Tarfa bin Abd – edited by: Doria Khatib, and Lotfi Saqal - Arab Foundation - Beirut - second edition 2000.
20) Poetry and Poets of Ibn Qutayba – edited by: Sheikh. Ahmed Muhammad Shaker - Dar Al Maaref Edition
21) Al-Sinaeatayn by Abu Hilal Al-Askari edited by: Ali Muhammad Al-Bedjawi and Muhammad Abu Al-Fadl

Ibrahim - Al-Asriya Library – Beirut.
22) Tabaqat Fahawwl al-Shueara by Ibn Salam Jamhi – edited by: Professor Mahmoud Muhammad Shaker edition civil.
23) Earus al-Afrah fi Sharh Talkhis al-Miftah by Al-Bahaa Al-Sobki - edited by: Dr. Abdul Hamid Hindawi - Al-Asriya Press for Printing and Publishing, Beirut - First Edition 1423 AH - 2003 AD.
24) Al-Eumdat in the merits of poetry and literature of Ibn Rashiq Qayrawani – edited by: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid - Dar Al-Jeel - fifth edition 1401 AH - 1981 AD.
25) linguistic differences of Abu Hilal military - edited by: Mohamed Ibrahim Selim - Dar science and culture for publishing and distribution in Cairo.
26) Al-Kashaf by Al-Zamakhshari - Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut - Third Edition 1407 AH
27) Al-kuliyaat by Abu Al-Baqa Al-Kafawi edited by: Adnan Darwish and Muhammad Al-Masri - Al-Resala Foundation - Beirut.
28) Lisan al-Arab by Ibn Manzur - Dar Sader - Beirut - first edition.
29) Vocabulary in Gharayb Al-Qur'an by Ragheb Isfahani – edited by: Safwan Adnan Daoudi - Dar Al-Qalam in Damascus First Edition 1412 AH.
30) Al-Mufadaliaat li Almufadal Al-Dabi - edited by: Professor Ahmed Mohamed Shaker and Abdel Salam Mohamed Haroun - Dar Al-Maaref - Cairo - sixth edition.
31) Language Standards of Ahmed bin Faris – edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun - Dar Al-Fikr 1399 AH - 1979 AD.
32) Al-Mutawal by Saad al-Din al-Taftazani - edition of the

Azhar Library for Heritage.

33) Munaqadat by Ibn Sinan Al-Khafaji Al-Mutanabbi between graphic analysis and poetic column - Prof. Dr. Ali Abdul Hamid Issa - Al-Adawi Press - first edition 1418 AH - 1997 AD.

34) Minhaj al-Balghaa and Siraj al-Alba by Hazem al-Qartaji, edited by: Muhammad al-Habib al-Khoja - Dar al-Kutub al-Sharqiya Tunis - second edition 1403 AH-1983 AD.

35) Balancing between the poetry of Abu Tammam and Al-Buhturi by Al-Amidi – edited by: Mr. Ahmed Saqr - Dar Al-Maaref - Fourth Edition - Arab Ammunition Series.

36) Speech pattern in Zuhair's poetry - prepared by Prof. Dr. Haifa Othman Abbas Feda - Master's thesis at um Al-Qura University - supervised by Prof. Dr. Muhammad Muhammad Abu Musa 1405 AH - 1986 AD.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الملخص	٤٤٧٦
المقدمة	١١٧٩
نبذة موجزة عن زهير	١١٨١
مناسبة النص	١١٨٢
النص	١١٨٤
التلاؤم بين المطلع والمقصد	١١٨٧
السياق الأول: حديث الطلل	١١٩٢
السياق الثاني: حديث الجمالية	١٢٠٠
السياق الثالث: حديث الخنساء	١٢١٧
السياق الرابع: مدح هرم بن سنان	١٢٤٥
السياق الخامس: (الختام) حمد الممدوح باق	١٢٦٩
خاتمة البحث	١٢٧٣
أهم المراجع	١٢٧٥